مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الإفتاء الفلسطينية

القدس

الإسراء

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

العدد السادس والثمانون 86
رمضان - شوال 1430 هـ
أيلول - تشرين الأول 2009م

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصـــدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية ـ القدس

العدد 86 رمضان ـ شوال 1430 هـ وفق أيلول ـ تشرين الأول 2009 م

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحريـــر

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحـــرير

أ. يوسف تيسير محمود

هيئة التحـــرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

المراسلات: مجلة الإسراء ، دائرة الإعلام ، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 - القدس / ص.ب : 1862 رام الله - تلفاكس : 02.6262495 / 02.2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

فهرس العدد

افتتاحية العدد

رمضان شهر العمل والهمم العالية	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

احتساب أجر الصيام	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	10

ملف العدد

في استقبال شهر رمضان	د. شفيق عياش	16
شهر رمضان المبارك يجدد فينا روح العبادة	الشيخ حسن أحمد جابر	20
صحة الإنسان في شهر رمضان	الأستاذ كايد براهمة	27

دراسات قرآنية

تأويل آيات التيسير من كلام العلي القدير	الشيخ أحمد شوباش	35
السحر في القرآن الكريم	الأستاذ طارق حميدة	48

فهرس العدد

فقه وأصوله

قبسات من كتاب فتاوى الصيام	دار الإفتاء الفلسطينية	51
حكم دفع الزكاة للأقارب الفقراء	الشيخ عمار بدوي	57
الاجتهاد في الإسلام	د. حمزة ذيب	63

أخلاقيات

من صبر عبر	الأستاذ كمال بواطنه	72

من أعلام الصحابة

أسامة بن زيد الحب بن الحب	الشيخ جميل جمعة سلامة	77

قضايا وآراء

المناخ المدرسي والعملية التربوية	الأستاذ يوسف عدوي	83
الظريف في التصحيف	الشيخ أحمد ذياب	86
آفة الغفلة المهلكة الأسباب والآثار والعلاج / ج2	الشيخ علي أحمد مصلح	94

نشاطات

من أخبار مكتب المفتي العام	الأستاذ مصطفى أعرج	100
مسابقة العدد 86	أسرة التحرير	111
إجابة مسابقة العدد 84	أسرة التحرير	112

رمضان شهر العمل والهمم العالية

بقلم : الشيخ محمد أحمد حسين / المشرف العام

ينظر بعض الناس إلى شهر رمضان على أنه فترة للتثاقل والنوم والخمول، فتراهم يتهيأون له بهذه الروح، وإذا ما جاءهم عاشوه بنفسها، فيؤجلون الأعمال ويتذرعون به لتبرير التقصير في أداء الواجبات الوظيفية، والاجتماعية، ويعطلون مصالحهم، وما يرتبط بهم من مصالح غيرهم بحجة أنهم مثقلون بمتاعب الصيام، والتحضير للإفطار والنهوض للسحور، ومن أبرز الآثار السلبية التي ستنجم عن هذا التصور السلبي لشهر الصيام تعطيل شؤون الناس في كثير من النواحي والمجالات، مما يتسبب في اضطراب العلاقات، وعرقلة مركب النهوض، الذي تتطلبه مقتضيات الحياة ومستلزمات تطورها وسيرها.

ويضاف إلى ذلك أن الكسل والخمول في رمضان يساعدان في تكريس مفاهيم خاطئة عن الصيام وهو منها براء، ومن تلك المفاهيم الاعتقاد أنه يعطل عملية الإنتاج، ويعيق التنمية الاقتصادية، حتى يصل الأمر ببعض المستهينين للمطالبة في استباحة الإفطار في رمضان وإلغاء الصيام أخذاً بهذا الادعاء الظالم، وانطلاقاً من التصورات الخاطئة عنه.

فرمضان شهر عمل وجد ونشاط وجهاد ودعوة إلى الله، لا تتعطل فيه عجلة العمل لإعمار الدنيا بالخير، فليس مقبولاً من أحد التعذر برمضان للكسل والتراخي عن العمل الجاد.

وهو بالإضافة إلى أنه موسم لتكثيف العبادة المتمثلة بالصيام والقيام والصلاة والصدقة وفعل الخير، فهو يتسع للقيام بأعظم الأعمال التي تتطلب نوعاً وكماً هائلاً من النشاط والهمم.

كما أنه موسم يتيح لأصحاب الهمم المجال لانتهاز هذا الشهر لإصلاح كثير من الأخطاء في العلاقات والعادات، والإقلاع عن بعض العادات السلبية كالتدخين، وترك السلوك الخاطئ، مثل التشاجر والتدابر والغيبة والنميمة والكذب، وقول الزور، « **فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ** » (1)

وهو ينمي في الصائم الحرص على أداء العمل في صورته المنضبطة، التي يتم فيها احترام مواعيد الحضور والانصراف، سواء أكانت للعمل أم للزيارات واللقاءات، فرمضان يُعَود على الانضباط والدقة في المواعيد، ويرسخ احترام الوقت، من خلال مراعاة الدقة في مواقيت الإمساك والإفطار والتراويح وصدقة الفطر، إضافة إلى أداء الصلوات المعتادة في بقية الأيام والشهور في أوقاتها المحددة.

وعلى خلاف الانحراف الذي يشاهد من سلوك بعض الصائمين، فإن الصيام يساعد على أداء الأعمال على أحسن وجه، من حيث الأمانة والإخلاص، وضبط الأعصاب، والظهور للناس ببشاشة، وعدم اتخاذ العبوس والتأفف والضجر مظاهر ملازمة للصيام، فالرسول، صلى الله عليه وسلم، يوصي الصائمين بهذا الصدد، فيقول في الحديث القدسي: « **قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ،**

فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ » (2)

فرمضان في صورته الأصيلة التي عاشها الرسول، صلى الله عليه وسلم، وصحبه البررة، يعني الجد والاجتهاد والنشاط والجهاد، ففيه قدر الله أن يتلقى رسوله، صلى الله عليه وسلم، القرآن، فقال تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ }(3) وقال سبحانه: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ }(4)

وإذا كانت عملية إنزال القرآن لا يلزمها جهد، لأنها من فعل الله، فتلقي هذا المنزل العظيم، كان يجهد المتلقي، صلى الله عليه وسلم، فالرسول، صلى الله عليه وسلم، كان يجهد نفسه في ترديد القرآن لحفظه حتى طمأنه الله بأن الله سيحفظه، وأعفاه من هذا الجهد، فقال تعالى :{ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ*إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ }(5)

ولما كان ينزل الوحي على الرسول، صلى الله عليه وسلم، بالقرآن كان يجهد، « **فَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ، قَالَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا**» (6).

فعملية التلقي هذه تتم خلال فترات أيام العام ، لكنها كانت بمجموع القرآن في رمضان، وكان جبريل يراجع للرسول، صلى الله عليه وسلم، القرآن في كل رمضان، وراجعه في العام الذي قبض فيه مرتين. « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ،**

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا، فَاعْتَكَفَ عِشْرِينَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ»(7)

وهذا دون أدنى ريب يتطلب جهداً يضاف إلى جهد الصيام والقيام، اللذين اختص بهما شهر رمضان، ولو أريد للأمر أن يكون على منهج كسالى رمضان لاختير شهر آخر غير رمضان لإنزال القرآن، وتلقيه، ومراجعته مع الوحي، لكن الرسول، صلى الله عليه وسلم، الذي يمثل الأسوة الأولى للمسلمين كان مثالاً للجد والمثابرة في رمضان، ولم يكن ليتعذر بالصيام، ليطالب بتحويل تلقي القرآن من الوحي إلى شهر آخر، ليخفف عن كاهله أعباء تلقي القرآن في الصيام، ولم تقتصر مثابرته، صلى الله عليه وسلم، على تلقي القرآن ومراجعته مع الوحي في رمضان، إضافة إلى الصيام والقيام المضاعف فيه، بل ضرب، عليه الصلاة والسلام، أعظم مثال للمسلمين من بعده في خوضه الجهاد في رمضان، بل إن أعظم غزوات المسلمين ومعاركهم الحربية تمت في رمضان، فكانت بدر الكبرى في السابع عشر منه للعام الثاني للهجرة، وجيش، عليه الصلاة والسلام، جيشه الجرار لفتح مكة في العشرين من رمضان في العام الثامن للهجرة.

وتحققت للمسلمين الانتصارات العظيمة في هذا الشهر، فبدر الكبرى فتحت للمسلمين آفاق العزة والمنعة، وكسرت شوكة عدوهم، وفتح مكة عاد بالمسلمين إلى بيت الله الحرام ليعيدوه إلى التوحيد والحنيفة السمحاء بعد أن طهروه من صنوف الأصنام وعلامات الشرك والإلحاد.

فعلى أيدي الصائمين سخر الله النصر للمسلمين، وفيه خاض الرسول، صلى الله عليه وسلم، أعتى الصعاب والمشاق، مسطرين بذلك مشاهد للجد والعمل في رمضان.

وعلى نهج هذه الفئة التي سبقت بالإيمان والجهاد والخير، سار من اختارهم الله أسوة، ومثالاً يحتذى، فلبى المسلمون في مراحل تالية داعي الجهاد في رمضان، ولم يتذرعوا بالصيام للتفلت من تبعات دينهم، فخاضوا معركة عين جالوت في 24 رمضان سنة 658 هـ، وفتحوا عمورية في 6 رمضان سنة 223هـ، بعد أن استجاب الخليفة المعتصم لصيحة وامعتصماه، وغير ذلك من الوقائع والأحداث الجسام التي شهدت للصائمين بالهمة والجد والمثابرة.

فهي الثلة الصادقة التي لم تتخذ التعذر منهجاً، أما أصحاب الأعذار فهم المنافقون الذين يختلقون الأعذار تلو الأعذار للتهرب من تبعات الدين ومتطلبات الشرع، فمرة يتذرعون بالحر، وأخرى بأن بيوتهم عورة، وأنهم يخشون الفتنة ونساء بني الأصفر، كل ذلك بهدف التملص من تبعات الدين، ومثلهم وعلى نهجهم سار الذين يتذرعون بالعمل ورزق العيال لاستباحة الفطر في رمضان، ولا يختلف عنهم كثيراً من يتعذر بالصيام لترك العمل ومتطلبات الواجب، سواء تعلق بالبيت، أو الأسرة، أو العمل والوظيفة، أو الجهاد، أو غير ذلك من مجالات الحياة، غير أن المؤمن الذي يقتفي سيرة نبيه الكريم، صلى الله عليه وسلم، ونهج السلف الصالح يعد العدة للصيام نفسياً وروحياً وبدنياً ليعيش حياته مع صيامه في نفس الزمان، دون أن يجد حاجة ليفرط بأحدهما مقابل الآخر، اللهم سوى الأخذ ببعض الترتيبات والإجراءات التي تساعد في تحقيق التوازن بين العمل والصيام، كأن يتسحر ويؤخر السحور، ويعجل الإفطار، ولا يواصل الصيام، وأن يختار نوع الفطور وترتيباته وأولوياته وكمياته بما يحفظ للجسم صحته وطاقته، وكل ذلك مبين في حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، وسيرته، الذي كان

يصوم ويقوم ويجتهد في القيام وبخاصة في العشر الأواخر من رمضان، ليبرهن أن شهر رمضان للعبادة والعمل والجد والاجتهاد، وعلى هذا النهج ينبغي أن يسير الصائمون في سعيهم لأداء هذه العبادة على الوجه المشروع، الذي يظهرها في صورتها المشرقة المؤثرة في ترغيب الناس بالصيام وتوعيتهم بحقيقة شأنه.

الهوامش

1. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى واجتنبوا قول الزور.
2. صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب هل يقول إني صائم اذا شتم.
3. البقرة:185.
4. القدر:1.
5. القيامة: 16 - 17 .
6. صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي .
7. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم .

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)

كلمة العدد

احتساب أجر الصيام

بقلم : الشيخ ابراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

يحتل صيام شهر رمضان مكانة رفيعة ومميزة في الإسلام، فهو ركن من أركانه الخمسة، وكل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فهو لله، وهو يجزي به، والصوم يشفع للصائم، ويؤهله لدخول الجنة من باب الريان، وتأكدت منزلة هذا الشهر الفضيل في كثير من النصوص الشرعية، التي بين بعضها أن العمل فيه يتضاعف فضله وأجره عما سواه من الأيام والشهور، فعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: « **سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِامْرَأَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، سَمَّاهَا ابْنُ عَبَّاسٍ، فَنَسِيتُ اسْمَهَا، مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّينَ مَعَنَا؟ قَالَتْ: كَانَ لَنَا نَاضِحٌ، فَرَكِبَهُ أَبُو فُلَانٍ وَابْنُهُ، لِزَوْجِهَا وَابْنِهَا، وَتَرَكَ نَاضِحًا نَنْضَحُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ اعْتَمِرِي فِيهِ، فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ حَجَّةٌ، أَوْ نَحْوًا مِمَّا قَالَ** »(1)

والصيام كسائر العبادات وأعمال الخير، يستلزم قبولها والمثوبة عليها، إخلاص النية لله في أدائها، والمراد بالنية القصد والابتغاء والباعث للعمل أو القول، والنية المخلصة تكون لوجه الله، وطلباً لثوابه ورضاه.

وقد عني القرآن الكريم بالنص على هذا البعد، فقال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}(2)

وقال سبحانه: {لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}(3)

فإخلاص النوايا لله في الأعمال يأتي على رأس متطلبات قبولها عنده سبحانه، وقد اقترن الحديث عن مثوبة الصيام والقيام باشتراط الاحتساب لله، مما يعني ضرورة التركيز على هذا المتطلب، الذي عنيت بالنص عليه الأحاديث الصحيحة التي بينت جزاء من صام رمضان، وقامه، وقام ليلة القدر، حيث تكرر في تلك الأحاديث الشرط المتضمن في قوله صلى الله عليه وسلم: «إيماناً واحتساباً»، ففي جزاء احتساب الصيام، وإقامة ليلة القدر، يقول عليه الصلاة والسلام: « **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** »(4) وقال في القيام: « **مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** »(5)

ويتوافق مع هذا التركيز بيان اختصاص الله بالصوم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: « **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّ الصَّوْمَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، إِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ فَرِحَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ** »(6)

ومن ضرورة النية أنها تميز العادة عن العبادة ، فمن امتنع عن الأكل والشرب لمجاملة الناس، أو خجلاً منهم، أو لأنه لم يجد طعاماً ولا شراباً، أو لا يرغب بتناولهما، أو لديه حمية طبية، أو برنامجاً لتخفيف الوزن، يختلف كلياً عن الذي ترك الطعام والشراب

بقصد التقرب إلى الله، وسعياً لنيل ثوابه ورضاه سبحانه.

ونوع النية يحدد جنس الجزاء في العبادات وكثير من المعاملات في فقهنا الإسلامي، فالذي يعمل عملاً من أعمال الآخرة دون أن يخلص به لله غير الذي يؤدي نفس ذلك العمل بنية يريد بها وجه الله، وابتغاء رضاه سبحانه، وقد نص الرسول، صلى الله عليه وسلم، على هذه المفارقة في قوله: « **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(7)

ومن الآثار العملية في الأحكام الفقهية التي تترتب على اشتراط النية المخلصة لله في الصوم، أنه يسقط عن الكافر والمجنون والصبي لتعذر صحة النية من قبلهم.

ولمزيد من التحذير الخاص بمن يخلطون النوايا، أو بمعنى آخر لا يخلصون الأعمال لله، حتى لو كان ظاهرها الخير والصلاح، ما روي عَنْ « **سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: نَعَمْ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ؛ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ**

أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ، قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَلَمْ أَفْهَمْ تُحِبُّ، كَمَا أَرَدْتُ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنْ لِيُقَالَ إِنَّهُ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ » (8)

كيف لا ، والله أغنى الشركاء عن الشرك، كما جاء في الحديث القدسي ، « **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** » (9)

حتى إن نتائج السلوك ومظاهره تختلف باختلاف النية، فالذي تكون نيته من الصيام ابتغاء وجه الله ومرضاته، يكون حليماً عفواً متسامحاً مع مخالطيه، بعكس الذي يفتقر لمثل هذه النية، فإنه يزداد توتراً بالصيام، ويبرر سلوكه الفج بأنه صائم، فالأول احتسب الأجر عند الله، وسار على نهج الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم، الذي وجه الصائمين للحلم وحسن الخلق، « **فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنْ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ** »(10)

ورُب سائل يسأل عن كيفية فحص النية، وقد أجاب الإمام أحمد بن حنبل عن مثل هذا التساؤل، حين سُئل: كيف النية؟ فقال: «يعالج الشخص نفسه، إذا أراد عملاً لا يريد به الناس». بمعنى أن الإنسان على نفسه بصيراً، فهو يشخص بواعثه للعمل، فإن وجدها متجهة نحو الناس، فلا يكون من المخلصين لله في هذا العمل، أما إن وجدها خالصة لله

فهو صادق النية وسليمها.

وللصيام الذي يُحتسب لله خيرات كثيرة، منها إدراج صاحبه مع الداخلين من الباب الذي خصصه الله في الجنة للصائمين، « **فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ** »(11)

ويكفر الصوم سيئات الصائمين، « **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ** »(12)

حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم، أشاد برائحة فم الصائم، « **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ** »(13)

فالمسلم الصائم الذي يمتنع عما لذ وطاب من الطعام والشراب، ويلتزم بمتطلبات الصيام وشروطه، حري به أن يدقق في الأساس الذي يعتمد عليه قبول هذه العبادة، والمتمثل بالتوجه إلى الله وحده بها، دون أن تعتري هذا التوجه أية ملابسات أو تداخلات تشوه صفاءه أو تخرج به عن مساره الشرعي، فإن حدث مثل هذا الخروج، والعياذ بالله، فإن الصائم قد لا يجد ثمرة الإمساك عن المفطرات ظاهرة في سلوكه ومعاملاته في الدنيا، مع ما يترتب على ذلك من خسران ثوابه وجزائه في الآخرة.

سائلين الله عز وجل أن يوفقنا لصيام رمضان وقيامه، احتساباً لوجهه الكريم، وابتغاء

مرضاته، ووفق شرعه وهدي نبيه، صلى الله عليه وسلم، وأن يتقبله منا، إنه سبحانه سميع قريب، مجيب الدعاء.

الهوامش

1. صحيح البخاري ، كتاب الحج، باب عمرة في رمضان.
2. البينة:5.
3. النساء:114.
4. صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.
5. صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.
6. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام.
7. صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي.
8. سنن النسائي ، كتاب الجهاد، باب من قاتل ليقال فلان جريء.
9. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله.
10. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم.
11. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام.
12. صحيح مسلم ، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان.
13. صحيح البخاري ، كتاب اللباس، باب ما يُذكر في المسك.

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنْ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ)

في استقبال شهر رمضان المبارك

بقلم : الدكتور شفيق عياش / جامعة القدس

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }(1) .

تشير هذه الآية الكريمة إلى أن شهر رمضان المبارك فريضة على كل مسلم ومسلمة في كل عام، وصوم شهر رمضان أحد أركان الإسلام الخمسة التي بينها رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، في الحديث المشهور، الذي رواه ابن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: « **بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(2).

يُهل الله سبحانه هذا الشهر المبارك على أمة الإسلام، فتنجلي فيه صدورهم بالذكر، { أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }(3)، ويطهر نفوسهم للعبادة، ويزود قلوبهم بالأمن والسكينة والاستقرار وراحة البال، وبما يقويها على احتمال الشدائد والمحن بقية العام، فيا له من شهر عظيم فضله الله سبحانه وتعالى، على سائر الشهور، وأنزل فيه القرآن الكريم هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، وجعل فيه ليلة القدر التي هي أفضل الليالي على الاطلاق، وفيه تم للمسلمين النصر المؤزر في غزوة بدر، والفتح المبين في مكة المكرمة، فاستعدوا معشر المسلمين الموحدين بالله سبحانه لاستقبال هذا الشهر العظيم، واستبشروا بقدومه، وشمروا عن ساعد الجد، واغتنموا الفرصة، ولا تضيعوها في اللهو واللعب، والعبث والمجون، والغيبة والفتن، ووطدوا العزم منذ الآن على صيام أيامه، وقيام لياليه.

فالصوم جنة، أي وقاية للفرد والمجتمع، وتربية من الله سبحانه لعباده المؤمنين، فمن وفق في شهر رمضان لصالح العمل، وأخلص الصوم لله تعالى، وترك الفواحش والمنكرات، ما ظهر منها وما بطن، فقد حاز الثواب ومحبة الله سبحانه وتعالى، وفاز بالحظ الأوفى والأجر الكبير، ومن خانه التوفيق وما فيه الصواب، وفرط في حق هذا الشهر الكريم، فذلك الخاسر الشقي المحروم من رحمة الله عز وجل.

« **فعن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: أتاكم رمضان، شهر بركة، يغشاكم الله منه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل** »(4).

وخطب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في آخر يوم من شعبان، فقال: « **أيها الناس، فقد أظلكم شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بنافلة، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه** »(5).

فهذا حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لأصحابه في آخر يوم من شعبان، تبشيراً لهم بقدوم رمضان، وترغيباً بالصيام فيه والقيام.

إن شهر رمضان، شهر اختص الله به الأمة الإسلامية، تكريماً لها، وتعظيماً لشأنها، وقدر فيه من الخير والرحمة والبركة، ما لو علمه المسلمون، لتمنوا أن يكون العام كله رمضان.

قال، عليه الصلاة والسلام، «**إن شهر رمضان شهر أمتي، يمرض مريضهم فيعودونه، فإذا صام مسلم، لم يكذب، ولم يغتب، وفطره طيب، ـأي حلال ـ، سعى إلى العتمات، محافظاً على فرائضه، خرج من ذنوبه، كما تخرج الحية من سلخها** »(6)أي جلدها.

ويجمع هذه الفوائد والحكم في رمضان، قوله تعالى بعد أن كتب الصوم وفرضه «لعلكم تتقون».

إذ التقوى اسم جامع لكل طاعة وخير، مانع من كل معصية وشر، ذلكم رمضان وخيره الجزيل، الذي أفاء الله به على عباده المؤمنين.

لقد كان المسلمون في الماضي مثال التراحم، عنوان الإخاء، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ويهتمون بأمور بعضهم بعضاً، ويفعلون الخير لوجه الله سبحانه وتعالى، وينفقون مما يحبون، ويعطون ولا يبخلون، يرجون مرضاة الله تعالى، وقد مدحهم الله بقوله:{ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(7).

هذه هي أخلاق المؤمنين، وتلك هي أفعالهم في رمضان، وغير رمضان، ومنها تتبين سمات المجتمع، ومظاهر الإيمان فيه.

ولكن لننظر قليلاً إلى واقع المسلمين اليوم، حيث المسلمون في واد، وتعاليم الإسلام وقيمه الحميدة في واد آخر.

فأين التراحم بين المسلمين، أين التعاون والإيثار، بل أين الحب فيما بينهم، أين الصفاء والتلاقي وعدم العداوة والبغضاء.

ألم يأن لأبناء هذا الشعب أن يوحدوا صفوفهم، وأن يوقفوا هذه الحروب والفتن الدائرة فيما بينهم، وأن يواجهوا أعداءهم الذين يتربصون بهم الدوائر.

ألم يأن لهؤلاء الذين يوغرون الصدور، ويثيرون النعرات العرقية والحزبية والقبلية بين أبناء الشعب الواحد، حتى تقطعت منهم الأوصال، وقتلوا أبناءهم، وخربوا بيوتهم، بهذه الحروب الفعلية والكلامية، هل لهؤلاء أن يكفوا عن هذا الإغواء والتضليل.

هل لهؤلاء المتحاربين المتخاصمين أن يفيقوا من سباتهم العميق، ويدركوا أنهم يخربون بيوتهم بأيديهم، ويقتلون إخوة لهم وأبناء، دون مبرر.

هل لأولئك أن يذكروا أن الأمة الإسلامية جمعاء في محنة من هذا الاقتتال، الذي يثير الفتن من داخلها. فإن الشر لا يكون وسيلة إلى خير، والنزاع والاختلاف طريق الفشل، وصدق الله سبحانه وتعالى الذي أمر المسلمين ونصحهم بقوله عز وجل:{ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} (8).

فليكف المتنازعون من أبناء هذا الشعب المرابط على هذه الأرض المباركة عما هو قائم بينهم من قتال، ومنازعات، وخصومات، وليجمعوا الصفوف، وليوحدوا الكلمة، ليواجهوا حاجة شعبهم التي انتهكت حرمتها بأيديهم.

وليجلس المتخاصمون لإصلاح ذات بينهم، حقناً للدماء، وطلباً لمصلحة شعبهم، ودفعاً للغمة التي أصابت منه مقتلاً.

وليعلموا أن من مبادئ هذا الدين أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وادعو الله سبحانه وتعالى أن يمن على أبناء هذه الأمة ببركة هذا الشهر الفضيل عند الله سبحانه، شهر القرآن الكريم بالخير والسعادة، وأن يجعله طهرة للقلوب، وجلاء للبلاء، والفرقة، والاختلاف.

فليلتمس المسلمون في كل مكان الخلاص مما هم فيه، بالاحتكام إلى الله سبحانه في قرآنه، وإلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في سنته، وليسألوا الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، يقول سبحانه وتعالى:{ إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} (9).

الهوامش

1. البقرة : 183.
2. صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.
3. الرعد:28.
4. أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب.
5. أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب.
6. أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب.
7. الحشر: 9.
8. الأنفال:46.
9. النحل:128.

شهر رمضان المبارك يجدد فينا روح العبادة

ويشحذ الهمة، ويوحد صفوف الأمة

بقلم : الشيخ / حسن أحمد جابر
عضو مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين

الحمد لله رب العالمين، الذي أثاب على الصيام والقيام جنته دار الكرامة والإنعام، فقال رسولنا الأكرم في وصفها : « **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا، تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ** » (1)، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، خير من صام وقام، وبشر بمغفرة الذنوب لمن صام رمضان، وقام ليله.

يقول الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }(2)، فشهر رمضان شهر عظيم مبارك، عظمه الله، وعظم من يصوم نهاره، ويقوم ليله، وحبا فيه الأمة المحمدية من النفحات والبركات ما لم يعط أمة أخرى، فلو عرف العباد ما في رمضان من بركات ونفحات، لتمنوا أن يكون الدهر كله رمضان، فهو شهر يجدد فينا روح العبادة، ويشحذ فينا الهمة، ويوحد صفوف الأمة، حيث يصهر المسلمين جميعاً في بوتقة واحدة، فيصبحوا جميعاً كالجسد الواحد، وكالجيش الواحد، يأكلون في موعد واحد، ويمتنعون عن الأكل في موعد واحد، ويشعر بعضهم بشعور بعض، حيث تتغير أحوالهم في هذا الشهر العظيم إلى ما هو أفضل؛ من تعاون، وتراحم، وتعاطف

فيما بينهم، فيشعر غنيهم بشعور فقيرهم، وقويهم بما يعانيه ضعيفهم، حيث يشحذ هممهم إلى ما فيه الخير، ويوحد كلمتهم، فلو أنهم استلهموا ما في هذا الشهر من نفحات وبركات حباها رب العزة لهم، ليتصفوا بها طيلة العام، لا في رمضان فقط، وإنما يجعلون أوقات العام كلها رمضان، في الوحدة، ورص الصفوف، والتعاون فيما بينهم، لساد الأمة المحمدية السلام والوئام، فتقوى شوكتهم، وتعلو كلمتهم بين الأمم، ومن هذه النفحات والبركات في هذا الشهر العظيم :

* أن فتح لهم أبواب الجنان، وغلق عنهم أبواب النيران، ويدل على ذلك ما جاء في الحديث الذي بشرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: « **إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ** » (3) وقوله صلى الله عليه وسلم: « **إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ**»(4).

* ولعظم هذا الشهر الكريم وعلو مكانته عند الله تعالى، حبا عباده بإنزال كتبه فيه، وهي الكتب الأربعة التي تنزلت على أنبيائه، وحملت وحيه، فقد نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد، والإنجيل على نبي الله عيسى، والتوراة على نبي الله موسى، والزبور على نبي الله داود، فإن هذه الكتب جميعاً تنزلت في شهر رمضان المبارك، وهذا تعظيم من الله عز وجل لهذا الشهر الفضيل، وإن من أَجَّلِ هذه الكتب السماوية القرآن الكريم، الذي نزل في شهر رمضان دفعة واحدة من بيت العزّة إلى السماء الدنيا، يقول الله عز وجل في ذلك: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ}(5) فقد نزل القرآن كله في شهر رمضان من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم بدأ نزوله

على النبي منجماً؛ أي مفرقاً، بحسب الوقائع، وبحسب حاجات المؤمنين إليه، وذلك ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

ومن النفحات التي منحها الله لعباده في هذا الشهر الكريم، ليلة القدر، والتي أمرنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن نلتمسها في الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان، وتعدل العبادة فيها ألف شهر، وروي في سبب نزولها ذكر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فتعجب المسلمون من ذلك، فشق عليهم قصر أعمارهم، لأنهم مع هذه الأعمار القصيرة لا يستطيعون أن يقوموا كغيرهم من الأمم السابقة في الجهاد المدة الطويلة، فمنحهم الله عز وجل تلك الليلة، حيث قال تعالى: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ }(6)

وليلة القدر ليلة عظيمة خص الله بها الأمة المحمدية تكريماً لها، وإن من علاماتها؛ أنها ليلة سمحة طلقة، لا حارة ولا باردة، وتكون شمس صبيحتها ضعيفة حمراء، كالقمر ليلة البدر، أكرم بها من ليلة، تعمرها ملائكة الله عز وجل، وهم يطوفون جميع بقاع الأرض، فيسلمون على عباد الله، الصائمين، القائمين، عمّار المساجد، حتى مطلع الفجر، ومن الأدعية التي يستحب للمسلم أن يدعو بها في تلك الليلة المباركة، ما جاء عن عائشة زوج النبي، رضي الله عنها، قالت : « **يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، مَا أَدْعُو؟ قَالَ: تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ، تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي** » (7) ، ومما حبا الله هذه الأمة أيضاً أن جعل هذا الشهر الكريم ثلاثة أقسام؛ أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، وليس هذا فحسب، بل إن رمضان كله نفحات وبركات، من ذلك أن الصائمين القائمين ينالون مغفرة الله عز وجل ورضوانه، ويستحقون دخول جنته التي تتزين من

العام للعام في انتظار الصائمين القائمين، وكذلك استغفار الملائكة لهم، وجعل خلوف رائحة أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك، وأن الله عز وجل يمنح الصائمين في آخر ليلة من رمضان مغفرته وعفوه، وفي يوم العيد يعطيهم جائزة التوفيق من الله عز وجل، ويدل لذلك حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي بين ما في رمضان من نفحات وبركات، تملأ الأرض إشراقاً ونوراً، بقدوم هذا الشهر الكريم، بقوله: (**أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ، خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا، وَيُزَيِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمَئُونَةَ وَالْأَذَى، وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ، وَيُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُوا إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ** »(8).

فإن كل هذه النفحات والبركات هبة من الله لعباده الصائمين القائمين في شهر رمضان، شهر الصبر، والنصر، والمواساة، فهنيئاً لكم عباد الله الصائمين القائمين بما حل عليكم من نفحات وبركات ورضوان، رب الأرض والسماوات، وقد بشر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المسلمين عند قدوم هذا الشهر الكريم بمزيد من النفحات والبركات، « **فقد روى سلمان الفارسي، رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في آخر يوم من شعبان، قال: يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليلة تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه**

الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائماً، كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجره شيء، قالوا : يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة، أو على شربة ماء، أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخرة عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه، غفر الله له، وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال؛ خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنها، فأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما، فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً، سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة » (9).

فانهلوا أيها الأخوة المؤمنون من نفحات رمضان وبركاته، وتخرجوا من مدرسة رمضان لأرفع الدرجات، ونيل محبة رب الأرض والسماوات، ولتتم الفائدة، نشير إلى بعض الفتوحات العظيمة التي انتصر فيها المسلمون ببركة هذا الشهر العظيم، ومن هذه الفتوحات: **غزوة بدر الكبرى**، التي كانت في السابع عشر من رمضان، أعظم بها من غزوة، تلك الغزوة الكبرى التي فرقت ما بين الحق والباطل، وغيرت وجه التاريخ لصالح الإسلام والمسلمين، حيث أعز الله فيها الإسلام وأهله، ومرغ أنف الشرك في أوحال الهزيمة، ولذلك سميت غزوة الفرقان، حيث نزلت ملائكة الرحمن في هذه الغزوة، تقاتل مع المسلمين جهاراً نهاراً، يقول الله عز وجل في محكم كتابه العزيز { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ* وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }(10)

وفي الثاني والعشرين من رمضان في السنة الثامنة للهجرة، **كان فتح مكة، الفتح**

المبين، الذي قضى على الوثنية والشرك في الجزيرة العربية، ودخل المسلمون مكة، فاتحين، منتصرين، مهللين، مكبرين، ورسول الله في الكعبة الشريفة يحطم أركان المشركين، ويردد قول الله عز وجل:{ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً }(11)

وفي رمضان في السنة الخامسة عشر للهجرة، كانت موقعة القادسية التي انتصر فيها المسلمون على المجوسية والفرس .

وفي السنة الثانية والتسعين للهجرة، كان فتح الأندلس من قبل المسلمين بقيادة القائد المظفر طارق بن زياد، حيث بنى المسلمون في الأندلس حضارة يشهد لعظمتها التاريخ، استمرت نحو ثمانية قرون.

وفي عام 584 هجري، بدأ الناصر صلاح الدين هجومه على الصليبيين في سوريا، حيث قام بطردهم منها.

وفي عام 658 هجري، كانت معركة عين جالوت، حيث قضى المسلمون على أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وهو جيش التتار الذي دمر الحضارات الإسلامية في بغداد ودمشق.

وهكذا أيها الإخوة المؤمنون نرى أن شهر رمضان؛ شهر النفحات والبركات، وشهر عبادة وعمل وانتصارات، فلنتفيأ ظلال هذا الشهر الكريم، فننهل من نفحاته وبركاته، ونجعل طيلة أوقات عامنا كلها رمضان .

وفي الختام نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا ويعيننا على صيام وقيامة شهر رمضان، وأن يأتي العام القادم وقد حقق الله آمالنا في توحيد كلمتنا، ورص صفوفنا، وبناء صرح دولتنا الفلسطينية، وعاصمتها القدس الشريف بعونه تعالى إنه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى، ونعم النصير .

الهوامش

1. سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في قول المعروف.
2. البقرة:183
3. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان
4. سنن الترمذي، كتاب الصوم عن رسول الله، باب ما جاء في فضل شهر رمضان
5. البقرة: 185
6. القدر:1 – 3
7. سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية
8. مسند أحمد ، كتاب باقي مسند المكثرين، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه
9. أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب
10. الأنفال:9 – 10
11. الإسراء:81

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا، تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ)

صحة الإنسان في شهـــر رمضـــان

بقلم الأستاذ : كايد براهمة / أريحا

الحمد لله الذي جعلنا من أهل الرباط على أرض فلسطين، وأكرمنا بهداية سيد الأنبياء والمرسلين، وأصلي وأسلم وأبارك على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد؛

فعندما نقول الفوائد الصحية للصوم في الطب الحديث، فإننا نعني بذلك الصحة البدنية والنفسية، التي سأبينها على النحو الآتي:

أولا ـ أثر الصوم على الصحة البدنية:

1 ـ راحة الجهاز الهضمي:

إن الجهاز الهضمي في جسم الإنسان مسؤول عن استقبال الطعام واستهلاكه، وعند صيام الإنسان لشهر رمضان فإنه يعطي هذا الجهاز فترة راحة، وكذلك الكبد أيضا يأخذ فرصة استراحة كونه معمل الاستهلاك الرئيس في الجسم، يقول الدكتور أنور المفتي: إن الأمعاء تمتص الماء المحلى بالسكر في أقل من خمس دقائق فيرتوي الجسم، وتزول أعراض نقص السكر والماء فيه. في حين أن الصائم الذي يملأ معدته مباشرة بالطعام، يحتاج إلى ثلاث أو أربع ساعات حتى تمتص أمعاؤه ما يكون في إفطاره من سكر، وعلى هذا تبقى عنده أعراض ذلك النقص، ويكون حتى بعد أن يشبع كمن لا يزال يواصل صومه(1).

ومن هذا يكشف لنا الطب الحديث حكمة الصوم، والتوجيه النبوي الشريف في الإفطار على التمر أو الماء حين قال: « **إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا، فَالْمَاءُ فَإِنَّهُ طَهُورٌ** » (2). فالبلاد التي يكثر فيها التمر كالحجاز والعراق تشملها هذه السنة، فإن عدم التمر ـ في البلاد الجبلية مثلاً ـ فما ناسبه من الزبيب أو التين، فمن لم يجد

شيئاً من ذلك، فالماء، فإنه طهور.

ومن أجل هذا كله أنشئت في العالم مصحات عديدة يقوم العلاج فيها على الصوم كعلاج رئيس، ولعل أشهر مصحة في العالم هي مصحة الدكتور (هيزج لاهمان) في(درسون) بسكسونيا، يقوم العلاج فيها على الصوم، وكذلك مصحة (الدكتور برشند، والدكتور فولر) وغيرهما. ويكون هذا العلاج غالبا فيه الشفاء من اضطراب الهضم، والبدانة، وأمراض القلب، والكبد، والكلى، والبول السكري، وارتفاع ضغط الدم.

ومن أشهر المؤلفين في هذا الموضوع العالم الأمريكي (ماك فادن) وهو من علماء الصحة الكبار، أسس مصحاً كبيراً مشهوراً في الولايات المتحدة، سماه باسمه، وألف(كتاب الصيام)، بعد أن ظهرت له نتائج عظيمة من أثر الصيام ومفعوله في القضاء على الأمراض المستعصية. وقد قال ماك فادن وغيره: (إن الصوم نافع للجسم، يصفيه من رواسب السموم التي تشتمل عليها الأغذية والأدوية).

2 ـ **نقص الوزن المعتدل** : فخلال الصيام ينقص استهلاك السكريات، وبالتالي فإن مستوى سكر الدم ينخفض، وهذا يجعل الجسم يعتمد على مخزونه من السكر لحرقه، وتأمين السعرات الحرارية اللازمة للاستهلاك، ويأتي مخزون السكر من الكبد بتفكيك مادة glycogen، وكذلك من تحطيم الدهون في النسيج الشحمي لتحويلها إلى سعرات حرارية وطاقة لازمة لفعاليات الجسم، وهذا بالتالي ينتج عنه نقص معتدل في وزن الجسم، ولهذا يعتبر للصوم فائدة كبيرة لدى زائدي الوزن، وحتى لمرضى السكري المعتدل غير المعتمدين على الأنسولين.

3ـ **القوة في الجلد**: ويؤكد الدكتور محمد الظواهري، أستاذ الأمراض الجلدية بجامعة القاهرة، على ما في الصيام من فوائد لجلد الإنسان، فيقول: إن الامتناع عن الطعام والشراب مدة ما يقلل من الماء في الجسم والدم، وهذا بدوره يدعو إلى قوة في الجلد، وحينئذ تزداد مقاومة الجلد للأمراض الجلدية المؤذية الميكروبية. وقلة الماء في الجلد تقلل أيضا من حدة الأمراض الجلدية الالتهابية والحادة، والمنتشرة بمساحات كبيرة في الجسم، وأفضل علاج لهذه الحالات من وجهة الغذاء، الامتناع عن الطعام والشراب لفترة زمنية ما(3).

3 ـ **نقص مستوى كولسترول الدم، والضغط، والذبحة الصدرية:** أثبتت دراسات عديدة أن انخفاض مستوى الكولسترول في الدم أثناء الصيام، وانخفاض نسبة ترسبه على جدران الشرايين الدموية، وهذا بدوره يقلل من الجلطات القلبية والدماغية، ويجنب ارتفاع الضغط الدموي، ونقص شحوم الدم يساعد بدوره على التقليل من حصيات المرارة والطرق الصفراوية، قال صلى الله عليه وسلم: (صوموا تصحوا) (4).

4 ـ **استراحة الجهاز الكلوي:** بينت بعض الدراسات أن عدم تناول الماء حوالي 10ـ 12 ساعة ليس بالضرورة سيئاً، بل هو مفيد في كثير من الأحيان، فتركيز سوائل الجسم تزداد محدثة تجففاً خفيفاً يحتمله الجسم لوجود كفاية من مخزون السوائل فيه، وطالما أن الشخص لا يشكو من حصيات كلوية فإن هذا يعطي الكليتين استراحة مؤقتة للتخلص من الفضلات.

* **استشارة الطبيب في الصوم:** من الضروري في بعض الحالات المرضية استشارة الطبيب قبل الشروع في الصيام، لأن صوم المريض على ضوء ثلاث حالات:

1ـ إذا كان الصوم يؤثر كثيراً على المريض، بحيث تسوء حالته، وجب عليه الإفطار.

2ـ مدة المرض تطول في المريض الصائم أكثر من المريض غير الصائم، فوجب الإفطار.

3ـ لا يؤثر الصيام على المريض مطلقاً، وهنا له الخيار في الصوم أو عدمه.

* **نصائح طبية:**

1ـ المرأة الحامل: في الشهور الثلاثة الأولى من الحمل، فإن المرأة تقاسي من القيء والغثيان وألم المعدة، ويكون الجنين عادة معرضاً لأخطار كثيرة خلال هذه الفترة؛ لهذا فمن الأفضل للمرأة الإفطار. وأما في المرحلة الثالثة من الحمل ـ أي من الشهر السابع حتى الولادة ـ فإنني أنصحها بالإفطار، حتى يتم حملها، وولادتها، بشكل طبيعي.

2ـ **الأم المرضع:** على الأم المرضع الصائمة أن تمتنع عن القيام بالمجهودات الجسمانية؛ كالمشي السريع، والرياضة العنيفة، والوقوف، وبذلك يقل الحليب. كما إن على الأم الصائمة أن تغير مواعيد رضاعة طفلها وقت السحور في الثالثة صباحاً، وبذلك تتمكن هي وطفلها من النوم إلى ساعة متأخرة ثم ترضعه في النهار الساعة التاسعة صباحاً، والساعة الثانية ظهراً.

***المسائل الطبية في الصيام:**

من المعلوم أن المفطرات المتفق عليها بين أهل العلم، هي الطعام والشراب والشهوة (الجماع والاستمناء بخروج المني بالنظر، أو الفكر، أو القبلة) والحيض والنفاس، ولو في اللحظة الأخيرة من الغروب، ويضاف لهذه المفطرات ما اتفق عليه أهل العلم على أنه مفطر، مما هو في حكم الطعام والشراب.

أ ـ الأمور المفطرة: الحقن التي تغذي الجسم من المحلولات والفيتامينات، والتحاميل التي يقصد بها الغذاء، وغسيل الكلى؛ لأنه يحتاج عادة إلى سوائل مغذية تعطى عن طريق الوريد، بالإضافة أن الوضع الصحي العام للمريض حين الغسيل لا يساعد على الصوم، والتدخين، والقيء العمد، ونزيف الدم الذي يدخل إلى الجوف؛ كمن خلع ضرسه، فنزل الدم إلى جوفه، وإعطاء المريض دماً، والتخدير الكلي الذي يدخل في حالة الإغماء، وفقدان الوعي، فهذه المسائل مفطرة.

ب ـ أمور لا تفطر الصائم: الحقن التي لا تغذي الجسم، والمراهم التي تدهن بها الأعضاء المريضة، ومعطر الجو، وشم الروائح بشكل عام، سواء كانت رائحة عطور، أم طعام، أم بنزين، والدواء الذي يؤخذ للغرغرة في الفم، والأكسجين، وسحب الدم الفاسد بالحجامة بالعضد، ونزيف الدم سواءٌ كان من الفم، أم الأنف، أم الوجه، أم الرأس، والفحص الشرجي والمهبلي، والتخدير الجزئي(الموضعي)، واستنشاق الدخان دون أن يدخن، كأن يجلس في مكان فيه مدخنين، ولا ينبغي أن يجالسهم باختياره، واستعمال فرشاة الأسنان والمعجون، بشرط أن لا يبتلع شيئاً من ذلك، وإن كان الأحوط استعمالها قبل طلوع الفجر، أو بعد الإفطار، والقيء غير العمد، فهذه المسائل لا تفطر الصائم(5).

ثانيا ـ أثر الصوم على الصحة النفسية:

أ ـ القدرة على تأجيل الإشباع: إذا أردنا أن نبحث في الفوائد النفسية للصيام فلا بد لنا من بحث موضوع الإشباع الفوري، وتأجيل الإشباع للحاجات والرغبات عند الإنسان، فالصيام امتناع عن إشباع بعض رغبات النفس، وبعض حاجات البدن، وذلك من الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

وإن الصبر على عدم حصول النفس على مشتهاها على الفور جانب مهم من جوانب نضج الشخصية الإنسانية، ويأتي الصيام في رمضان بمثابة دورة تدريبية سنوية على هذا الصبر، وبمثابة دفعة جديدة نحو المزيد من نضج الشخصية لدى المؤمن، والاستعجال في الحصول على شهوات النفس صفة إنسانية تكون على أشدها، عند من لم يهذبه الإيمان، قال تعالى: {وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّر دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً }(6)، وقال سبحانه: {خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ } (7)، وقال جل شأنه:{كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ} (8).

يقول الدكتور اليكسيس كاريل، الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة، في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) ما نصه: إن كثرة وجبات الطعام، وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفة أدت دوراً عظيماً في بقاء الأجناس البشرية، وهي وظيفة التكيف على قلة الطعام، ولذلك كان الناس يلتزمون الصوم في بعض الأوقات.

ويقول أيضا: إن الأديان كافة لا تفتأ تدعو الناس إلى وجوب الصوم والحرمان من الطعام، إذ يحدث أول الأمر الشعور بالجوع، ويحدث أحياناً التهيج العصبي، ثم يعقب ذلك شعور بالضعف، بيد أنه يحدث إلى جانب ذلك ظواهر خفية أهم بكثير منه، فإن سكر الكبد سيتحرك، ويتحرك معه أيضا الدهن المخزون تحت الجلد، وبروتينات العضل، والغدد، وخلايا الكبد، وتضحي جميع الأعضاء بمادتها الخاصة للإبقاء على كمال الوسط الداخلي وسلامة القلب، وإن الصوم لينظف، ويبدل أنسجتها(9).

ومن البديهي أن الصوم الذي يقول به الدكتور يطابق تماماً الصوم في الإسلام، إذ إنه يغير من انتظام وجبات الطعام، ويقلل من كميات الغذاء.

ب ـ القضاء على العادات السيئة: إن من أسباب سرعة الغضب والعصبية عند بعض الصائمين؛ أن بعضهم مدمن على التبغ، فهم مدخنون، والمدخن الذي يواظب على التدخين يومياً، ولمدة طويلة، يكون في الحقيقة مدمناً على التبغ.

كما إن هناك إدمانا آخر شائع بين الناس يتسبب في عصبية بعض الصائمين، وهو الإدمان على الكافيين، وهي المادة المنبهة في القهوة والشاي والكولا، والانقطاع المفاجئ عن الكافيين يتسبب ـ إن طالت ساعاته ـ بشعور المدمن بالكسل والنعاس، وفقد الرغبة في العمل،

وبالعصبية وانخفاض المزاج، لذا كان من المفيد لمن أدمن على الكافيين أن يخفف تناوله للقهوة والشاي والكولا تخفيفاً تدريجياً قبل رمضان، وذلك استعداداً للصيام، وعليه أن يتناول شيئاً منها عند السحور، حتى لا يعاني من أعراض الحرمان منها أثناء الصيام.

ج ـ الشعور بالراحة النفسية: وفوائد رمضان النفسية كثيرة، فالصائم يشعر بالطمأنينة والراحة النفسية والفكرية، ويحاول الابتعاد عما يعكر صفو الصيام من محرمات ومنغصات.

د ـ المحافظة على ضوابط السلوك: ليس صحيحاً ما يقوله البعض بأن الصوم يسبب الغضب والتوتر في الأعصاب، وإن الذين يزعمون بإصابتهم بالنرفزة والغضب والتوتر في الأعصاب هم من الجهلة، الذين لا يدركون حقيقة الصوم، ولا يلمسون آثاره الطيبة في تقوية النفوس، وتعويدها على الصبر والشدائد(10).

وفي الصيام صفاء للذهن، وهدوء للنفس، وراحة للأعصاب، كما أن الامتناع عن بذيء القول، وكف الجوارح عن المحرمات، من أنجح الوسائل لحفظ سلامة الأعصاب، قال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة، نامت الفكرة، وخرست الحكمة.

وقد أثبتت دراسات عدة انخفاض نسبة الجريمة بوضوح في البلاد الإسلامية خلال شهر رمضان؛ لأن الصيام مدخل إلى التقوى، وحسن الخلق، والصبر على الناس، فالصوم يضفي على الصائم الوقار، والاتزان، وعدم مخاصمته للناس، والترفع عن سفاسف الأمور.

هـ ـ صلاة التراويح تخفف من الاكتئاب النفسي.

خلاصة القول

إن الصوم كسائر العبادات تظهر حكمته التشريعية في تطبيق هذه الفريضة كما أمر الله تعالى بها، ولعل تعقيب آية الصوم بقوله تعالى: { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }، تظهر المقصود من هذه العبادة، فهي تقي الفرد المسلم من شرور نفسه، وتضبط قواعد الخلق والسلوك لدى هذا الفرد؛ لتكون بعد ذلك المجتمع الصالح ضمن إطار دائرة الإسلام، التي تعمل على تهيئة الإنسانية ككل للصلاح والخير، قال صلى الله عليه وسلم: « **الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ، أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ،**

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»(11). ولعل الإنسان يتذكر بقوله إني صائم إنسانيته الكاملة، فيبتعد عن كل ما يضر بهذه الإنسانية، وهذا أمر مرده إلى الفرد. فالله مراقب له على كل أعماله، ومن هنا كان الحديث القدسي: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(12)، فالمرء يملكه الحياء من الله في ترك الملذات وشرور النفس، أما إذا لم يستح من الله فلا معنى لصيامه، إذ قال صلى الله عليه وسلم «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(13).

هذا إذا أضفنا أن الصائم عندما يجوع يتذكر الآخرين، ويشعر بآلامهم، حيث يتقرر مبدأ المساواة بين الجميع، فالصوم فقر إجباري يلتزم به الغني والفقير دون محاباة، مما يؤدي إلى كبح شرور النفس ورذائلها.

والصوم عامل فعال في إضعاف سلطان العادة التي تتحكم في بعض الناس، فتجعلهم عبيداً لوجبات الطعام، أو شرب الشاي والقهوة، أو التدخين مما يجعل الإنسان حراً في كامل تصرفاته.

إن الأمم المتقدمة تفرض شهراً إجبارياً على أفرادها للعمل في سلك الجندية، وفهم واجبات الدولة. ولكن الإسلام يفرض شهراً تعبدياً للتقرب إلى الله تعالى، فيا أخي المسلم: سارع إلى أداء هذه الفريضة، وليكن صيامك خالصا لله تعالى؛ لتنجو من عذاب الله، وتنال مرضاته، ولتتمتع بالصحة والعافية طوال عمرك، قال تعالى:

{ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}(14).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

1ـ الكفراوي، محمد، أضواء على العبادات، دار الأيتام الإسلامية بالقدس، ط2، 1399هـ ـ 1979م: ص 96.

2ـ سنن الترمذي، كتاب الزكاة عن رسول الله، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة.

3ـ الكفراوي، محمد، أضواء على العبادات: ص 95.

4ـ رواه ابن السني وأبو نعيم، وحسنه السيوطي.

5ـ عفانة، الدكتور حسام الدين موسى، يسألونك، بيت المقدس للطباعة، 1998م:3 /37 ـ 77، والكفرداني، محمد اسعيد محمد، الإفتاء في فلسطين، مطبعة السلام، جنين، ط1، 1425هـ ـ2004م: ص353 ـ 359.

6ـ الإسراء: 11.

7ـ الأنبياء:37.

8ـ القيامة:20 – 21.

9ـ أضواء على العبادات: ص97.

10ـ الكفرداني، محمد اسعيد محمد، الإفتاء في فلسطين: ص 359.

11ـ صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم.

12ـ صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم.

13ـ صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.

14ـ طه: 123ـ 126.

تأويل آيات التيسير

من كلام العليّ الكبير

بقلم : الشيخ أحمد شوباش
مفتي محافظة نابلس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

فكتاب الله سبحانه لا يَخْلَقُ مع كثرة الرد، والباحث فيه يجد بغيته من العلم، ودائماً فيه الجديد للقارئ المتدبر، ومن أنواع التفسير وأقسام التأويل لكتاب الله ما يعرف بدراسة المفردة القرآنية، وهو جزء من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، وفيه يتناول المفسر أو الباحث موضوعاً قرآنياً واحداً يتعلق بمفردة وتعريفاتها يبحث عنه في القرآن، وينسق ما بين آياته، ويخرج دراسة فيه، أو يتناول السورة الواحدة، ويدرسها دراسة موضوعية، يبين فيها الوحدة الموضوعية للسورة من حيث ترابط آياتها في وحدة واحدة. وفي هذه الدراسة أتناول موضوعاً من آيات كتاب الله، فقد استخدم القرآن مفردة التيسير، وتصريفاته مأخوذة من ((يسر))، وسأتعرض بداية للمعنى اللغوي في أمهات المعاجم اللغوية المعتبرة ، ثم أجمع الآيات التي تعالج هذا المصطلح، ونطلع على شيء من تأويلها في مصادر التفسير المعروفة، ومن ثم نخرج من هذه الدراسة ببيان وخصيصة من خصائص الإسلام وهي التيسير .

المعنى اللغوي :

القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، لهذا فإن معرفة المعنى اللغوي للكلمة القرآنية يعد مقدمة ضرورية لمعرفة المعنى الاصطلاحي المراد منها ، ويعين على فهمها.

و«يسر» الياء والسين والراء عند ابن فارس : « أصلان يدل أحدهما على انفتاح شيء

وخفته، والآخر على عضو من الأعضاء، فالأول : اليُسر ضد العُسر ... ويقال رجل يَسْر ويَسَر ، أي حسن الانقياد، والثاني : اليسار لليد اليُسرى ».

وتيسر واستيسر : تسهل وتهيأ .

واليُسر بالضم، وبضمتين، واليسار واليسارة والميسرة، السهولة والغنى والسَّعة .

واليسير والميسور : السهل، ويقال اليسير في الشيء القليل، أو الهيّن أو الحقير القليل.

والميسر : القمار والنرد، أو اللعب بالقداح.

والتيسير يكون في الخير والشر، وقد يسره الله لليسرى: أي وفقه لها.

ومع معرفة هذه التصريفات ومتابعة معانيها كما جاء في معاجم اللغة العربية، وعلى لسان أولئك الأفذاذ ممن خطوا تلك القواميس، نجد أن مصطلح التيسير بجميع تصريفاته يعني الخفة والسهولة واللين، وهو ضد الثقل والعسر والضيق.

وقد استخدمت الشريعة الإسلامية مصطلحات مشابهة لها صلة كبيرة بالتيسير، ومما يوافقه التخفيف والترخيص، والتوسعة، والتوسط، ورفع الحرج، في حين أن التشديد والتثقيل، ضد التخفيف والتيسير.

التيسير للخير والشر :

في الآيات من سورة عبس، وهي تتحدث عن مراحل خلق الإنسان، يقول الحق سبحانه:

{ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ* مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ* ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ* ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ } (عبس: 17 – 22) . فالسبيل الطريق، وللعلماء في قوله تعالى : {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ } أقوال منها : الأول أن الله يسر خروج الإنسان من بطن أمه، وهو قول ابن عباس، والثاني : أنه بين لهم سبيل الخير والشر، والسعادة والشقاء، لقوله تعالى : {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } (البلد:10) ، وقوله : {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً } (الإنسان:3) ، وهو قول مجاهد ، والثالث : سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان، وقد

رجح الكلبي الأول، واختاره ابن جرير، ورجح ابن كثير في تفسيره قول مجاهد (1).

فالله سبحانه يسر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه ، ودليله قوله عليه الصلاة والسلام: « اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ »(2).

وهذا التيسير إلى طريق الخير والشر ورد مفصلاً في سورة الليل في قوله تعالى : { فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى* وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى* وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى }(الليل:5 – 11) . ففي هذه الآيات فصّل الله العاملين، ووصف أعمالهم، وهم صنفان : فالصنف الأول؛ التزم ما أمر الله به من عبادات مالية؛ كالزكاة والإنفاق في وجوه الخير، وعبادات بدنية؛ كالصلاة، وعبادات مركبة من البدن والمال؛ كالحج والعمرة، وانتهى عن المعاصي والمحرمات بجميع أنواعها، وصدق بكلمة لا إله إلا الله، وما يترتب عليها من جزاء أخروي، أو صدَّق بالخلف بعد الإنفاق، فهذا ييسره الله لليسرى، والصنف الثاني؛ بخل بالإنفاق، واستغنى عن طاعة الله وعبادته، وكذب بما أوجب الله التصديق به من العقائد، فإنه يكون ميسراً للشر أينما كان، ومقيضاً له أفعال المعاصي، ومسهلاً للحالة العسرة والخصال الذميمة، مما سيؤدي به إلى عذاب النار.

وقد ذكر عامة المفسرين أن الآية : { فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى } نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، فعن عبد الله بن الزبير ﷺ قال: كان أبو بكر يعتق على الإسلام عجائز ونساء، قال: فقال له أبوه : أي بني ! لو أنك أعتقت رجالاً جُلداً يمنعونك ، ويقومون معك؟ فقال: يا أبت إنما أريد ما أريد، أظنه قال : ما عند الله . والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهي عامة في خلق الله.

والله سبحانه يجازي من قصد الخير بالّتوفيق له ، ومن أراد الشر بالخذلان ، والآيات في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى : {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (الأنعام :110) .

والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة منها؛ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : «كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ؛ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ؛ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَن أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ، وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ }»(3).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا » (4).

وفي معاني القرآن للغراء : يقول القائل : « كيف قال: فسنيره للعسرى، وهل في العسرى تيسير ؟ فيقال في الجواب: هذا في إجازته بمنزلة قوله عز وجل : { فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (آل عمران:21). والبشارة في الأصل على المفرح والسارّ، فإذا جمع في كلامين هذا خير، وهذا شر، جاءت البشارة فيهما، وكذلك التيسير في الأصل على المفرح ، فإذا جمع في كلامين هذا خير، وهذا شر، جاء التيسير فيهما جميعاً، وقوله فسنيسره : سنهيئه.

وتيسير المؤمن المطيع لليسرى هو هداية التوفيق والإلهام التي يمن الله بها على عباده إذا استجابوا لأمر الرسل، والتزموا بما جاءوا به ، قال ابن القيم : فالهداية : «هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهما بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق، وجعل الإيمان في القلب، وتحبيبه إلى المؤمن، وتزيينه في قلبه، وجعله مؤثراً له، راضياً به،

راغباً فيه، وهما هدايتان مستقلتان لا يحصل الفلاح إلا بهما، وهما متضمنتان تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلاً وإجمالاً، وإلهامنا له وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهراً وباطناً، ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم ، ثم إدامة ذلك لنا، وتثبيتاً عليه إلى الوفاة » .

ولهذا امتن الله على رسوله بتيسيره لليسرى أبداً ، وتثبيته على الهداية وطريق السعادة والخير ، قال سبحانه : {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى } (الأعلى:8) . فهذه بشارة أخرى ، فالبشارة السابقة قبل هذه الآية وعد بحفظ النبي – صلى الله عليه وسلم – كتاب الله، ووعي قلبه له ، ومن ثم وعد بتوفيق الله رسوله للأمور المرضية وأعمال الخير التي توجب السعادة والتيسير في جميع الأمور، وقيل : أن يجعل شرعه ودينه يُسراً أو يسيراً سهلاً.

تيسير القرآن الكريم :

اتسمت الشريعة الإسلامية بميزة التيسير والتخفيف، وقد اكتسبت هذه الخصيصة من يسر القرآن وسهولته، وكذلك بعث النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – بالحنيفة السمحة، وتيسيره على المسلمين، فكانت تكاليف الشريعة سهلة سمحة في تنفيذها والعمل بها ، وكان الأمر للمكلفين بالتيسير على أنفسهم وعلى غيرهم، بعد حصول التيسير في أدلة الشريعة وتعلمها وإدراك مراميها.

وفي القرآن وردت ست آيات أثبتت يسر القرآن وتيسيره على المكلفين، بينما وصف القرآن بأنه ثقيل في قوله تعالى : { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً } (المزمل:5) ، فهل هناك تعارض ؟

اختلف المفسرون بالثقل على أقوال، منها؛ أن القرآن سمي ثقيلاً لما كان النبي – صلى الله عليه وسلم– يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه، حتى إن جبينه يتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وقد كان يقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك، حتى إنه إذا أوحي عليه وهو على ناقته بركت به، والتصق صدرها بالأرض، ولا تستطيع حراكاً،

وأوحي إليه، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت ﷺ فكادت أن ترض فخذ زيد، والثقل على هذا حقيقة .

ويدل على هذا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا » (5).

أو أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده، أو أنه ثقيل في الميزان ، أو أنه كلام رزين له وزن ورجحان، أو أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي، وهذا اختيار ابن عطية، والآية مناسبة لما قبلها من ثقل قيام الليل على النفس الذي كان مفروضاً، وهذا أمر حمله شديد على النفس ومجاهدة الشيطان ، وهذه الأقوال صحيحة إلا أن أرجحها ما رجحه ابن العربي، وهو القول الأول، لأنه الحقيقة، ولأنه قد جاء في القرآن: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } (الحج: 78) . ولأنه عليه الصلاة والسلام قال : ((بعثت بالحنيفة السمحة))،(6) وعلى هذا فلا تعارض بين هذه الآية وكون القرآن ميسراً .

ولهذا فقد قال الشيخ السعدي : « نوحي إليك هذا القرآن الثقيل ، أي : العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف حقيق أن يتهيأ له ، ويرتل ويتفكر فيما يشتمل عليه » وقد اختار ابن جرير أنه ثقيل في الدنيا وقت نزوله من عظمته وثقيل في الميزان أيضاً.

ولقد وصف الله كتابه باليسر، فقال سبحانه : {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً} (مريم: 97) ، وقال سبحانه : {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }(الدخان:58) ،

وقال جل شأنه : {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ }(القمر: 17).

وفي هذه الآيات بيان من المولى سبحانه أنه أنعم على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم– وعلى أمته، بأن يسر القرآن الكريم بلسان رسوله الذي هو أفصح الألسنة وأجلها، يسر ألفاظه ومعانيه من أجل الانتفاع به، والالتزام به، وحصول الذكرى، ويبشر المؤمنين بالثواب العاجل والآجل، وبيان أسباب ذلك بفعل ما ينفعهم وترك ما يضرهم، مع إنذار أهل الباطل، وإقامة الحجة عليهم، وتوعدهم بالإهلاك .

وفي آيات سورة القمر : {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } إشارة إلى تسهيل القرآن بسهولة ألفاظه للتلاوة والأداء والحفظ، وسهولة معانيه للفهم والعلم والاتعاظ، وتعلق القلوب به والتلذذ بسماعه، والذكر شامل لكل ما يتذكر به العالمون من الحلال والحرام، والأوامر والنواهي، والمواعظ والعبر، والعقائد النافعة، والأخبار الصادقة، ولهذا كان علم القرآن وعظاً وتفسيراً أجل العلوم وأسهلها، وهو العلم الذي إذا طلبه العبد أعين عليه، لهذا قال بعض السابقين : { فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } أي: هل من طالب علم، فيعان عليه؟.

وتكرار الآية في قصص سورة القمر رحمة للعباد وعناية بهم ، أو دعاهم القرآن إلى ما يصلح دنياهم وأخراهم، أو كرر للتنبيه والإفهام وإقامة الحجة.

وذكر بعض المفسرين في الآية أن القرآن ميسرٌ للحفظ ، وأن هذا معلوم بالمشاهدة إذ يحفظه الأطفال الصغار وغيرهم، حفظاً بالغاً بخلاف غيره من الكتب، وقد روي أنه لم يحفظ شيء من الكتب السابقة عن ظهر قلب إلا القرآن، إلا في حق بعض الأنبياء في كتبهم، كما ورد ذلك عن سعيد بن جبير وغيره.

ومن رحمة الله وفضله أن كان هذا التيسير في اللفظ والمعنى، لعموم الناس وجمهورهم، وفي الغالب من نصوص القرآن ، وقد يكون فيه من الأسرار الدقيقة ما لا يتيسر للعوام، بل لخواص الناس من العلماء، فيظهرونه للعوام بعد أن ييسره الله لهم، ويهيؤه

لهم، ويلهمهم إياه.

ومن تيسير القرآن نزوله على سبعة أحرف أو (لهجات) ليتمكن كل من قرأه من العرب أن يفهمه ويدرك مقاصده .

تيسير الأحكام الشرعية :

هذا أصل عظيم، وصفة رئيسة من صفات الإسلام ، اليسر وانتفاء الحرج، وهو مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية ، وهذا منصوص عليه في كتاب الله ومدعوم بأحاديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام – يقول سبحانه:{ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ } (الحج: 78)، ويقول سبحانه: {يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً } (النساء:28).

وبخصوص الآيات التي نصت على مفردة التيسير، فقد جاءت عدة آيات بهذا النص، منها قوله تعالى: { يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } (البقرة:185).

وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أن المقصود باليسر الفطر في السفر، والعسر الصوم في السفر، والصحيح قول من قال اليسر والعسر على الإطلاق، فالعبرة بعموم اللفظ في جميع أصول الدين.

ودليل هذا آيات التخفيف ورفع الحرج، وأحاديث النبي – صلى الله عيه وسلم – في التيسير، منها قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ » (7) ، ومنها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما بعث معاذاً وأبا موسى الأشعري إلى اليمن، قال لهما: « بَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا، وَتَطَاوَعَا، وَلَا تَخْتَلِفَا » (8)، وقال صلى الله عليه وسلم : ((أرسلت بحنيفية سمحاء))(9) وحديث « مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ ... »(10).

وأحكام الشرع في يسرها على قسمين : يسر أصلي، وهذا يشمل التكاليف الشرعية كافة، التي جعلها الشرع وفق الممكن وضمن وسع المكلف، ومثّاله قول الحق سبحانه: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً } (الطلاق:7) ، أي بعد الضيق غنى، وبعد الشدة سعة، والقسم الثاني يسر تخفيفي، روعي في تشريعه ضرورات العباد، وأعذارهم، وأهم هذه الأعذار؛ المرض، والسفر، والإكراه، والنسيان، والجهل، والخطأ، والعسر، وعموم البلوى، والنقص؛ كالصبى، والرق ، والوسوسة، وحداثة الدخول في الدين.

وهذا اليسر في شريعة الإسلام لا يمكن استيعابه في هذه الدراسة هنا، قال الشيخ السعدي: (ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة بثقله، سهله تسهيلاً آخر، إما بإسقاطه أو تخفيفه بأنواع التخفيفات، وهذه جملة لا يمكن تفصيلها، لأن تفاصيلها جميع التشريعات، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات) .

ومن هنا فقد وضع الفقهاء قاعدة ((المشقة تجلب التيسير)) ، وقاعدة ((إن الأمر إذا ضاق اتسع))، غير أنهما مقيدتان بقاعدة ((الميسور لا يسقط بالمعسور))، أما التخفيفات التي تحصل للمكلف، فقد تكون إسقاطاً للفعل عن المكَلَف، أو تنقيصاً، أو إبدالاً، أو تخفيف تقديم، أو تأخير، أو ترخيص .

ومن أمثلة قاعدة التيسير في أحكام الشريعة التي صرح بها القرآن الكريم، أذكر ثلاثة مواضيع :

(1) قراءة ما تيسر من القرآن في الصلاة :

في الآية الأخيرة من سورة المزمل ورد قوله تعالى : {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ

وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (المزمل:20) .

والمقصود بالقرآن «ما تيسر من القرآن « نفس القراءة، وهو الظاهر، وقيل الصلاة كما قال سبحانه:{وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً} (الإسراء:78) . لأنها تخبر عن الصلاة وإليها يرجع القول.

وقد استدل أبو حنيفة وأصحابه بقراءة ما تيسر من القرآن بفرض قراءة آية واحدة من أيِّ القرآن كانت، وعنه ثلاث آيات، وقال جمهور العلماء في المذاهب الثلاثة، وغيرها: إن أقل ما يجزئ المصلي في كل ركعة فاتحة الكتاب لا يجزي العدول عنها، ولا الاقتصار على بعضها لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما رواه عبادة بن الصامت، عنه أنه قال : « لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ » (11)، وبمعناه أحاديث أخرى صحيحة .

(2) ما استيسر من الهدي :

يقول سبحانه وتعالى : {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإْنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (البقرة:196) .

في هذه الآية ورد قوله تعالى { فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ } مكرراً مرتين، مرة في حق المحصر، والثانية في حق المتمتع.

فالمحصر الممنوع من الوصول إلى البيت الحرام عليه ذبح ما استيسر من الهدي « فما استيسر من الهدي « أي ما تيسر من الهدي، والسين والتاء للتأكيد؛ أي ما أمكن من الهدي بإمكان تحصيله، وإمكان توجيهه، وما استيسر هنا جميع وجوه التيسير، وهناك

تقدير في الآية : فعليكم ما استيسر، أو فاهدوا ما استيسر، وكلا التقديرين دال على وجوب الهدي، والأظهر الثاني، ووجوبه في الحج ظاهر، وفي العمرة كذلك، لأن إتمامها واجب باتفاق الجمهور.

والهديّ مختص بما يهدى إلى البيت، قال الأخفش: والواحدة هديّة، قال: ويقال للأنثى هديّ، فإنه مصدر وصف به، فهو اسم للحيوان المتقرب به لله في الحج، فهو فَعْل من أهدى، وقيل جمع هديّة، فإن كان اسماً فمن بيانيه، وإن كان جمعاً فمن تبعيضية، وأقله عند الجمهور شاة من الغنم، وإنما تجزئ الشاة عند جمهور العلماء، لأن الله قال « فما استيسر»، والأفضل بقرة أو بدنة.

ومن التيسير في ذبح الهدي جواز الذبح موضع الحصر في الحل، أو الحرم عند مالك والشافعي وأحمد خلافاً لأبي حنيفة الذي لا يجيز النحر إلا في الحرم، لقوله تعالى:{لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ }(الحج:33) . والمحل اسم لمكان النحر عند أبي حنيفة، وقال الشافعي : هو اسم للزمان الذي يحصل فيه التحلل .

والموضع الثاني في قوله تعالى من الآية « فما استيسر من الهدي » أي على المتمتع ما تيسر من الهدي، وهو ما يجزيء في أضحية من شاة أو سبع بدنة أو بقرة، وهذا دم نسك مقابلة لحصول النسكين له في سفرة واحدة، في القران والتمتع، وحصول المتعة فوق ذلك من العمرة والحج للمتمتع ومن لم يجد الهدي من المحصرين والمتمتعين كان عليه صيام عشرة؛ أيام ثلاثة في الحج، وسبعة إذا رجع إلى بلده .

(3) فنظرة إلى ميسرة :

ومن تيسير الأحكام الشرعية على المكلفين الأمر بإمهال المعسر المدين إلى الميسرة، والدعوة إلى التصدق عليه بقوله جل شأنه {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } (البقرة:280) .

ففي الآية أمر من الله بالصبر على المعسر – والعُسرة، تعسُر وجود المال، وضيق

الحال– الذي لا يجد وفاء، لا كما كان أهل الجاهلية إذا حل الدين على المدين، ولم يجد قضاءً أربوا ، وندبت الآية إلى التصدق عليه، والوضع عنه رأس المال كله، أو بعضه.

وفي سبب نزول الآية أن ثقيفاً طلبوا أموالهم التي لهم على بني المغيرة، فشكوا العسرة، وقالوا: ليس لنا شيء، وطلبوا الأجل إلى وقت ثمارهم، فنزلت الآية.

وإنظار المعسر عام في جميع الناس فكل من أعسر أنظر وأمهل في قول عامة الفقهاء، وهو قول عطاء، وقال ابن عباس: الآية نزلت في أهل الربا، فمن كان عليه ربا يمهل، أما الديون وسائر المعاملات، فليس فيها نظرة، بل يؤدى إلى أهلها، أو يحسب المدين حتى يوفيه، والصحيح قول عامة الفقهاء.

وفي التيسير على المعسر يتجاوز المولى سبحانه على الميّسر، قال المهاتمي : إذا استوفى الدائن حقه بالتضييق على المديون، استوفى الله منه حقوقه بالتضييق ، وإن سامحه فالله أولى بالمسامحة.

ومما يؤيد هذا المعنى، وما يحصل للعبد بإمهال المعسر أو التصدق عليه بالوضع عنه أو بإعطائه ما يزول به إعساره ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ فِي الدُّنْيَا، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا، سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ».. (12)

وعن أبي قتادة – رضي الله عنه– قال:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ». (13)

وعن حذيفة وأبي مسعود الأنصاري– رضي الله عنهما – أنهما سمعا النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: « إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ مَلَكٌ لِيَقْبِضَ نَفْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ

النَّاسَ، وَأُجَازِفُهُمْ، فَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنْ الْمُوسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ» .(14)

وعن أبي اليسر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ، اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ». (15)

فالآية تدل على وجوب إنظار المعسر، وتندب إلى الوضع عنه، واعتبار ذلك صدقة، وذلك تيسيراً عليه، ورحمة به.

هذا غيض من فيض، وللموضوع بقية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش

1. مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند جابر بن عبد الله .
2. مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند جابر بن عبد الله .
3. صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن ، باب قوله وكذب بالحسنى.
4. صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب في المنفق والممسك الحديث .
5. صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب بدء الوحي .
6. ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2924 ، عن أبي أمامة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إني لم أبعث باليهودية، ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفة السمحة ، وقال هذا إسناد ضعيف ، ثم قال : حديث عائشة وهي تنظر إلى لعب الحبشة : (لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفة سمحة : قال الألباني أخرجه أحمد 6 /116 وإسناده حسن .
7. صحيح البخاري ، كتاب الإيمان، باب الدين يُسر .
8. صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، وهو عند البخاري بألفاظ مقاربة، كتاب العلم، باب ما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يتخولهم بالموعظة.
9. مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.
10. صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحدود الله.
11. صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم .
12. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.
13. صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر.
14. مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي.
15. سنن الترمذي، كتاب البيوع عن رسول الله، باب ما جاء في إنظار المعسر والرفق به.

السحر في القرآن الكريم

الأستاذ : طارق مصطفى حميدة

لعل أول ما يلاحظه قارئ القرآن الكريم، ذلك الارتباط الوثيق بين السحر وفرعون، بل واجتماعهما معاً في حرب الدين، وهو ما يؤكده السحرة أنفسهم، عندما واجهوا فرعون بالقول: إنه قد (أكرههم) على السحر منذ زمن بعيد، سابق ليوم المبارزة مع موسى عليه السلام : {إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى }(طه:73)، إذ يبدو أن فرعون كان ينتقي الفتيان الأذكياء، ويأخذهم من أهاليهم ويدفعهم إلى من يعلمهم السحر... ثم يفرقهم في المدائن، ليقوموا بما «يلزم» لتثبيت حكمه...

وقد لاحظنا كيف أشار الملأ على فرعون أن يبعث في «المدائن» حاشرين ليأتوه بكل ساحر عليم...

وكذلك فقد رأينا في الحديث الصحيح الذي يروي قصة أصحاب الأخدود، التلازم الوثيق بين السحر والملك، وكيف أن الملك حين احتاج إلى ساحر، فإنه ينتقي من رعيته من يشاء ليعلمه المهنة، يقول عليه السلام : « كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ؛ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ » (صحيح مسلم ، كتاب الزاهد والرقائق ، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام)

وإذا استعرضنا أنشطة السحرة وأعمالهم في تثبيت حكم الفرعون، وحرب الدين، فسنلاحظ الأمور الآتية:

أولاً : الإلهاء والتخدير :

ذلك أن حكم فرعون يتسبب في ظلم الناس، وهضم حقوقهم، وانتهاك كرامتهم... ومهمة السحرة، أن يشغلوا الناس عن التفكير في واقعهم الأليم، ويجعلوهم يعيشون في غيبوبة تنسيهم آلامهم، وتقعدهم عن العمل للتغيير، بما يقومون به من أعمال عجيبة وحركات غريبة.

ثانياً : الخداع وقلب الحقائق :

إن السحرة في الواقع لا يغيرون حقائق الأشياء، وإنما هم يخيلون للناس أنها تغيرت، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى : { فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى }(طه: 66)، وقوله أيضا: {فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}(الأعراف: 116)

إن أقرب تشبيه لدور السحرة في واقعنا المعاصر، هو ما تقوم به بعض وسائل الإعلام في قلب الحقائق وتزييفها، وإظهار الحق باطلاً، والباطل حقاً، والهزائم انتصارات، والظلم عدلاً، والاستعمار تحريراً، والدين تطرفاً وإرهاباً، والمجون فناً، والإلحاد فكراً.

ثالثاً : تخويف الجماهير :

إن حبل الكذب قصير، ومهما نشط السحرة القدماء أو المعاصرون، في تزييف الحقائق، فإن الواقع أنصع حجة وأقوى بياناً، وإن عمق الجراحات، البدنية والنفسية والاقتصادية والسياسية، لأقوى من كل عمليات التخدير والإشغال والإلهاء.

ولذلك يقرر الفراعنة أن من لم يقنعه الزيف، ولم تسكته جرعات المورفين، يحتاج إلى الإرهاب والتخويف، كي لا تسول له نفسه القيام بأي عمل ضدهم... ويتحدث القرآن الكريم أن السحرة قاموا بإرهاب وتخويف الحاضرين، حيث يقول تعالى : {فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ }(الأعراف: 116)

أي استدعوا مشاعر الرهبة والخوف عندهم، حتى إن موسى، عليه السلام، قد تأثر هو الآخر بهذا المشهد : {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى }(طه: 67)

رابعاً : تفتيت الأسرة :

جاء في سورة البقرة أن السحرة يتعلمون {مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}(البقرة: 102)، والحقيقة أن ذكر هذا الأمر، دون سواه، يبرز خطورته الشديدة، حتى لكأنه ينبه إلى أن باقي الأمور التي يتعلمها السحرة بالمقارنة مع التفريق بين المرء وزوجه لا شيء.

وقد جاء في الحديث الشريف « أن إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ

مِنْهُ مَنْزِلَةً، أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ » (صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس).

وإذا ما جرى التفريق بين الزوجين فقد تفتت الأسرة، وما دامت الأسرة هي اللبنة الأساسية في المجتمع، فإن تفككها يعني بالضرورة تفكك هذا المجتمع وتفتيته... وهذا ما يسعى إليه فرعون الذي يريد المجتمع مفتتاً ليسهل عليه قيادته، وشعار الفراعنة، أجنبيهم ووطنيهم، هو (فرق تسد). وقد حكى القرآن عن فرعون أنه {عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً}(القصص:4)

وما تقوم به كثير من المؤسسات والدوائر في أيامنا هذه من أجل تفتيت الأسرة أوضح من أن يشار إليه.

خامساً : الإخراج من الأرض :

مما يستدعي الدهشة، ويسترعي الانتباه، تكرير السحرة وآل فرعون الاتهام لموسى وأخيه، عليهما السلام، بأنهما يريدان : إخراجهم من الأرض بسحرهما { إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى } (طه:63)، {قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى }(طه:57).

فمن جهة يتبين القلق الشديد الذي يساور الفراعنة من أن الدعوة جاءت لتزلزل أركانهم، وتقلب سلطانهم، وتجعل الأرض تميد من تحتهم. ومن جهة أخرى؛ فإنها تعكس ما يقوم به الفراعنة والسحرة من أعمال ومكائد ثم هم يلصقونها بموسى وهارون، عليهما السلام، إنهم يتهموهما بالجريمة التي هم أنفسهم – الفراعنة والسحرة – متلبسون بها. وذلك كما يقول المثل العربي : رمتني بدائها وانسلت.

إن الفراعنة سواء كانوا محليين أو أجانب، يقومون بسياسات تستهدف تفريغ الأرض من ساكنيها... أو تفريغها من أصحاب الفكر والعلم، فيما يسمى بتهجير الأدمغة، كيلا يبقى في البلاد عقول تفكر بتغيير الواقع السيء، ولا شباب لديهم الهمة والعزيمة للتحرك في مواجهته.

قال تعالى : ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:43)

قبسات من كتاب فتاوى الصيام

دار الإفتاء الفلسطينية

حكم السحور

السؤال: ما حكم السحور؟

الجواب: فالسحور مستحب لا خلاف بين العلماء في ذلك(1). فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً»(2)، وعن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِكُمْ وَبَيْنَ صِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ»(3). وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ فَلَا تَدَعُوهُ وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ»(4). قال النووي: «وأما البركة التي فيه فظاهرة، لأنه يقوى على الصيام، وينشط له، وتحصل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام، لخفة المشقة فيه على المتسحر، فهذا هو الصواب المعتمد في معناه، وقيل لأنه يتضمن الاستيقاظ، والذكر والدعاء في ذلك الوقت الشريف، وقت تنزل الرحمة، وقبول الدعاء والاستغفار، وربما توضأ صاحبه وصلى، أو أدام الاستيقاظ للـــــذكر والدعاء والصلاة، أو التأهب لها حتى يطلع الفجر»(5). والله الموفق.

صحة تذكير من أكل أو شرب ناسياً نهار رمضان

السؤال: ماذا نصنع إذا رأينا من يأكل أو يشرب ناسياً في نهار رمضان؟ هل نذكره أم نتركه؟

الجواب: فمن أكل أو شرب ناسياً فصومه صحيح، لقوله ﷺ « مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ»(6). وإذا ما رأينا شخصاً يأكل أو يشرب في نهار رمضان، فله علينا واجب النصيحة لقوله ﷺ « الدِّينُ النَّصِيحَةُ »(7)، وذلك بتذكيره، لأن الأكل والشرب في نهار رمضان محرم، فوجب النصح له، وهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والله أعلم.

رخصة الفطر للمسافر

السؤال : سافر رجل صبيحة يوم من رمضان فهل يصح له الفطر؟

الجواب: فإن السفر رخصة شرعية في الفطر، لقوله سبحانه وتعالى : { وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } (8) والراجح من أقوال العلماء أنه يجوز لمن سافر صبيحة يوم من شهر رمضان أن يفطر، لقوله تعالى: {وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} (9)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ، فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ: بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ » (10). وعن ابن عباس قال : « خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ إِلَى حُنَيْنٍ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ، فَصَائِمٌ وَمُفْطِرٌ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى رَاحِلَتِهِ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ أَوْ مَاءٍ، فَوَضَعَهُ عَلَى رَاحَتِهِ – أَوْ عَلَى رَاحِلَتِهِ – ثُمَّ نَظَرَ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: الْمُفْطِرُونَ

لِلصُّوَّامِ أَفْطِرُوا» (11). فالحديث صريح في دلالته على أنه يجوز للمسافر أن يفطر عند ابتداء السفر، لقوله: فلما استوى على راحلته، ولأنه مسافر فأبيح له الفطر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ الْكَدِيدَ أَفْطَرَ، فَأَفْطَرَ النَّاسُ »(12). والله أعلم.

إفطار المرأة المرضع

السؤال : ما حكم الفطر للمرأة المرضع؟

الجواب: فإنه يرخّص الفطر للمرأة المرضع، وعليها القضاء بعد ذلك، فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعَ عَنْ الْمُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامَ، وَعَنْ الْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ »(13). والله أعلم.

الجمع بين نية قضاء رمضان وصيام الستة من شوال

السؤال: هل يجزئ من يريد أن يقضي أياماً من شهر رمضان في شهر شوال على أن ينويها من صيام ستة شوال؟

الجواب: فصوم الفريضة عبادة مستقلة، والنافلة عبادة مستقلة أيضاً، والذي يميز بين العبادتين هو النية، ولكل عمل نيّة؛ لقوله ﷺ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ »(14). ولا يجوز أن يجمع بين الفرض والنافلة في نية واحدة، لاختلاف العبادتين، كما أنه لم يرد ما يدل على جواز ذلك، ومن كان عليه قضاء صوم، فالأولى أن يبدأ بالقضاء قبل النافلة؛ لتقديم الفرض على النافلة، لقوله ﷺ في الحديث القدسي: « وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ »(15). وصيام ستة أيام من شوال لا تغني عن قضاء يوم من رمضان. والله أعلم.

الصيام حال الاستحاضة

السؤال: انقطع دم الحيض وانتهت مدة العادة الشهرية المعتادة ثم نزل دم على المرأة فهل تصوم وتصلي؟

الجواب: فإنّ المرأة الحائض يحرم عليها الصوم، وهذا محل اتفاق بين العلماء. فإذا انقضى الحيض وانتهت مدته؛ جاز للمرأة أن تصوم، وتقضي ما فاتها، لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: « كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ »(16).

وأما الدم النازل بعد انقضاء الحيض والطهارة منه؛ فهو دم استحاضة، فعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت : « قَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِي حُبَيْشٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنِّي لَا أَطْهُرُ، أَفَأَدَعُ الصَّلَاةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا ذَلِكِ عِرْقٌ، وَلَيْسَ بِالْحَيْضَةِ، فَإِذَا أَقْبَلَتْ الْحَيْضَةُ فَاتْرُكِي الصَّلَاةَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَدْرُهَا فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ وَصَلِّي»(17). ودم الاستحاضة لا يؤثر على الصلاة والصيام. وهذا الدم دم استحاضة تغتسل المرأة منه، وتتوضأ لكل صلاة، وتصلي وتصوم، ولو طال زمن الاستحاضة، فعن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ « أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ جَحْشٍ خَتَنَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَحْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، اسْتُحِيضَتْ سَبْعَ سِنِينَ فَاسْتَفْتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ بِالْحَيْضَةِ، وَلَكِنَّ هَذَا عِرْقٌ، فَاغْتَسِلِي، وَصَلِّي »(18).

وذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يجب على المستحاضة الغسل لكل صلاة إلا المتحيرة، ولكن يجب عليها الوضوء، وحُمل الأمر في الحديث السابق على الندب، والاستحباب جمعاً بين الروايات، فروى أبو داود في سننه « أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ جَحْشٍ اسْتُحِيضَتْ، فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَنْتَظِرَ أَيَّامَ أَقْرَائِهَا، ثُمَّ تَغْتَسِلُ، وَتُصَلِّي، فَإِنْ رَأَتْ

شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ تَوَضَّأَتْ وَصَلَّتْ » (19).

وخلاصة القول : انقطاع دم الحيض في المدة المعتادة تخرج المرأة به من الحيض، وتغتسل وتصوم وتصلي، وإذا نزل دم بعد مدة الحيض فهو دم استحاضة، مهما طال زمنه. والله أعلم.

القبلة للصائم وحكمها

السؤال: ما حكم القبلة للصائم؟

الجواب: فالقبلة مباحة ما لم تؤد إلى الإنزال والجماع. فالمضمضة في الفم مفتاح الشراب إلى الجوف والمعدة، فإذا نزل الماء إلى الجوف فسد الصوم، وكذلك القبلة مفتاح إلى الجماع، فإذا أنزل فسد صومه، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال لرسول الله ﷺ: « هَشَشْتُ يَوْمًا فَقَبَّلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: صَنَعْتُ الْيَوْمَ أَمْرًا عَظِيمًا، فَقَبَّلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ لَوْ تَمَضْمَضْتَ بِمَاءٍ وَأَنْتَ صَائِمٌ، قُلْتُ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَفِيمَ » (20)، ولا فرق في القبلة بين الشيخ الكبير، والشاب الصغير، فالعبرة بمن يمسك نفسه عما بعدها، لقول عائشة رضي الله عنها : « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ »(21). وأملككم لإربه تعني أنه يمسك نفسه عن حاجته(22). والله أعلم.

تذوق الطعام نهار رمضان

السؤال: ما حكم تذوق الطعام أثناء الصيام؟

الجواب: فإنه يجوز تذوق الطعام ما لم يدخل إلى الجوف. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « لا بأس أن يتطعم القِدر أو الشيء »(23). والله تعالى أعلم.

الهوامش

1. انظر المغني لابن قدامة ج3ص108.
2. صحيح البخاري، كتاب الصوم ، باب بركة السحور من غير إيجاب.
3. مسند أحمد ، مسند الشاميين، بقية حديث عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم.
4. مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه.
5. انظر، شرح النووي على مسلم. ج7ص206.
6. صحيح مسلم، كتاب الصيام ، باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر.
7. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.
8. البقرة:185.
9. البقرة:185.
10. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية.
11. صحيح البخاري ، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح في رمضان.
12. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر.
13. سنن النسائي ، كتاب الصيام ، باب ذكر اختلاف معاوية بن سلام وعلي بن المبارك في هذا.
14. صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي.
15. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.
16. صحيح مسلم، كتاب الحيض ، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة.
17. صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب الاستحاضة .
18. صحيح مسلم ، كتاب الحيض، باب المستحاضة وغسلها وصلاتها.
19. سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب من لم يذكر الوضوء إلا عند الحدث.
20. مسند أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، أول مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
21. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب المباشرة للصائم.
22. انظر: فتح الباري ج1ص77.
23. رواه البخاري معلقاً.

حكم دفع الزكاة للأقارب الفقراء

بقلم : الشيخ عمار توفيق أحمد بدوي/ مفتي محافظة طولكرم

سؤالٌ يتردد كلَّ عامٍ على ألسنةِ الناسِ من المزكِّين وغيرهم، خاصة في رمضان، هل يصح أن تُدفع الزكاةُ للأقارب؟ ومنْ الأقارب الذين يجوز للمزكي أن يدفع زكاتَه لهم؟ ومنْ الأقارب الذين لا يجوز أن يدفعَ الزكاةَ إليهم؟ وما المعاييرُ التي تضبطُ هذا الأمر؟ وما الراجحُ والمرجوح من أقوال الفقهاء؟ وما أدلةُ ترجيحِ كفَّةِ ميزانِ القول الأصوب؟ أسئلةٌ كثيرةٌ تدورُ حولَ هذه المسألةِ ذاتِ الأهمية؛ لذا رأيتُ أن أبسطَ القولَ فيها؛ عسى أن أضعَ القارئَ والسائلَ في الموقفِ الصائب منها.

جاءت الآيةُ الكريمة في أصنافِ آخذي الزكاة عامةً، ذكرتْ أوصافَ مستحقي الزكاة، ولم تذكرْ صلةَ القرابة بين المزكي ومستحقِّ الزكاة. ولكن الفقهاء نظروا في مجمل النصوص التي تتحدثُ عن النفقةِ وأحكامها بين الأقارب، واستنبطوا أحكاماً تعددت وجهاتُ النظر فيها، لتعدّدِ الاجتهاد الفقهي في المسألة، وبناءً على ذلك لم تتفق الأقوالُ على قولٍ واحدٍ في دفع الزكاة للأقارب. كما أنَّ الأسسَ التي قام عليها الاجتهادُ مختلفةٌ؛ مما أدى إلى اختلاف الأحكام بين الفقهاء. وهذا بيان يوضح تلك الأحكام:

أولاً: اتفقت كلمةُ الفقهاء على جواز دفع الزكاة للأقارب بغضِّ النظر عن درجة القرابة إذا كانوا من العاملين على الزكاة، أو غارمين، أو في سبيل الله، وإذا كان ابن

سبيل يعطيه قدرته للسفر، وعللوا ذلك بأنهم استحقوا الزكاة بوصف لا تأثير للقرابة فيه، فلا يجب على القريب أن يؤدي دين قريبه، ولا تحمل نفقته في الغزو(1).

ثانياً: الاختلاف في دفع الزكاة للقريب، إذا كان الدفع بسب الفقر، على تفصيل يتعلق بدرجة القرابة، وعلّة المنع والدفع.

ثالثاً: دفع الزكاة من الأولاد الأغنياء لوالدهم الفقير:

أ- ذكر ابن المنذر أنّ أهل العلم أجمعوا على أن الزكاة لا تدفع إلى الوالدين، وعللوا ذلك بأنّ دفع الزكاة إليهما تغنيه عن نفقتهما، وتسقطها عنه، ويعود نفعها إليه، فكأنه دفعها إلى نفسه، فلم تجز(2).

ولقوله ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ »(3).

واشترط الحنفية ألاّ تكون منافع الأملاك بين المزكي وآخذ الزكاة متصلة. على هذا يخرج الدفع إلى الوالدين، وإنْ علوا، والمولودين، وإنْ سفلوا، لأنّ أحدهما ينتفع بمال الآخر(4).

رابعاً: دفع الزكاة من الأب إلى أبنائه:

لا يجوز دفع الزكاة من الأب إلى أبنائه لأنهم جزء منه، ومنافع الأملاك بينهم متصلة، وكل منهم ينتفع بمال الآخر.

خامساً: دفع الزكاة من الوالد لأولاد الأولاد الفقراء:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ الزكاة لا تدفع من الوالد إلى أولاد أولاده، وعدّوا ذلك من الأصول للفروع، وأجاز الإمام مالك أن تصرف الزكاة في بني البنين، وفيما فوق الجدّ والجدّة، على اعتبار أنّ النفقة ليست واجبة على الأجداد للأحفاد ولا على الأحفاد للأجداد، فالجد أب غير حقيقي(5).

سادساً: دفع الزكاة للوالدين من الولد العاجز عن نفقة والديه:

قال النووي من الشافعية: «إذا كان الولد أو الوالد فقيراً أو مسكيناً، وقلنا في بعض الأحوال لا تجب نفقته؛ فيجوز لوالده وولده دفع الزكاة إليه من سهم الفقراء والمساكين؛ لأنه حينئذ كالأجنبي»(6).

وقال ابن تيمية «يجوز صرف الزكاة إلى الوالدين وإن علوا(الأجداد)، وإلى الولد وإن سفل(الأولاد)؛ إذا كانوا فقراء وهو عاجز عن نفقتهم؛ لوجود المقتضى السالم عن المعارض العادم»(7). أي لا يوجد مانع شرعي يعارض هذا المقتضى(8).

سابعاً: دفع المزكي زكاته لبقية الأقارب كالإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات:

اختلف الفقهاء في الأساس الذي بنوا عليه جواز منع الزكاة ودفعها للأقارب، ونقلوا أقوالاً عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم في ذلك.

المذهب الأول: من الفقهاء من نظر إلى الضم العملي للقريب إلى المزكي(9). بمعنى ضمه إليه مع عياله في مسكنه.

عن إبراهيم بن حفصة قال: قلت لسعيد بن جبير: «أعطي الخالة من الزكاة؟ قال: نعم؛ ما لم تغلق عليها باباً -يعني ما لم تكن في عيالك»(10).

وعن عطاء قال: سمعت ابن عباس يقول: «لا بأس بأن تضع زكاتك في موضعها إذا لم تعط منها أحداً تعوله أنت، فلا بأس»(11).

المذهب الثاني: من الفقهاء من نظر إلى إجبار الحاكم على النفقة، فما لم يصدر حكم قضائي يلزمه بنفقة قريب؛ فله أن يعطيه من زكاته(12).

المذهب الثالث: من الفقهاء من نظر إلى أن من تلزم المزكي نفقته شرعاً، فمن وجبت

نفقته على المزكي لا يعطى من زكاته(13)، وهذا مذهب مالك والشافعي ورواية عن أحمد(14).

تفصيلات في المذهب الثالث : من الذي تجب نفقته على غيره؟

القول الأول: ذهب الإمام أحمد إلى أنّ النفقة واجبة على من يرث، فالوارث لا يأخذ من زكاة المزكي(15).

القول الثاني: ذهب الشافعية إلى وجوب النفقة على الأصول وإنْ علّوا، والفروع وإنْ نزلوا(16).

القول الثالث: ذهب الإمام مالك إلى أنّ النفقة واجبة على الأب لأولاده الذكور حتى يبلغوا، وعلى الإناث حتى يتزوجن، أما ولد الولد فلا تجب النفقة له على جده، ولا البنت المتزوجة(17). فإذا دخل بهن أزواجهن فلا نفقة لهن عليه. ولا يلزم المرأة النفقة على ولدها. ويلزمها النفقة على أبويها، وإن كانت ذات زوج، وإن كره ذلك زوجها(18).

وقال القرطبي: «ولا يجوز أن يعطى من الزكاة من تلزمه نفقته، وهم الوالدان والولد والزوجة»(19).

القول الرابع: ذهب فريق من العلماء إلى جواز دفع الزكاة إلى الأقارب، ما عدا الوالد للأولاد، والأولاد للوالدين، وهي رواية عن الإمام أحمد، وقول أكثر أهل العلم(20). ورجّح ذلك أبو عبيد في كتاب الأموال، وقال: «فهذه السنن هي الفاصلة عندنا بين عيال الرجل الذين يلزمه عَولُهم من غيرهم، وهم الوالدان والولد، والزوجة والمملوك، فهؤلاء لا حظّ لهم في زكاته»(21).

قال الكاساني من الحنفية: «ويجوز دفع الزكاة إلى من سوى الوالدين والمولودين من

الأقارب، ومن الإخوة والأخوات، وغيرهم، لانقطاع منافع الأملاك بينهم»(22).

ويجوز دفع الزكاة إلى الأخ والأخت، والعمة والعم، والخالة والخال، ونحوهم، بل إنّ القرابة أحق بزكاة المزكي(23). فعن سلمان بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال: « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ؛ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ »(24). قال أبو عبيد: «فلم يشترط نافلة ولا فريضة»(25).

عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود ﷺ قالت: « كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَيْتَامٍ فِي حَجْرِهَا، قَالَ: فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ: سَلْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حَجْرِي مِنْ الصَّدَقَةِ؟ فَقَالَ: سَلِي أَنْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ، حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي، فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلَالٌ، فَقُلْنَا: سَلْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي؟ وَقُلْنَا: لَا تُخْبِرْ بِنَا، فَدَخَلَ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: مَنْ هُمَا؟ قَالَ: زَيْنَبُ، قَالَ: أَيُّ الزَّيَانِبِ؟ قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَعَمْ؛ لَهَا أَجْرَانِ، أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ »(26).

واستدل الشوكاني بهذا الحديث على جواز دفع الزكاة للأقارب، ولا فرق بين زكاة الفريضة، وصدقة التطوع، وقال: «ترك الاستفصال في مقام الاحتمال ينزل منزلة العموم في المقال»(27). وهذه القاعدة من قول الإمام الشافعي(28).

القول الراجح: نميل إلى ترجيح القول الرابع الذي يجيز دفع الزكاة إلى الأقارب ، ما عدا الوالد للأولاد، والأولاد للوالدين، والله أعلم.

الهوامش

(1)انظر: المجموع، ج6، ص222، فقه الزكاة، د يوسف القرضاوي، ج2، ص761.

(2) المغني، ج2، ص509. فقه الزكاة، ج2، ص762.

(3) سنن ابن ماجه، كتاب التجارات ، باب ما للرجل من مال ولده

(4) بدائع الصنائع، ج2، ص157. البداية في شرح الهداية، ج3، 549.

(5) المغني،ج9، ص257. نيل الأوطار، ج4، ص248.

(6) المجموع، ج6، ص223.

(7) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ج5، ص373.

(8) فقه الزكاة، للقرضاوي، ج2، ص764.

(9) فقه الزكاة، ج2، ص767.

(10) مصنف عبد الرزاق، ج4، ص112.

(11) مصنف عبد الرزاق، ج4، ص112.

(12) المعيار المعرب، لأحمد يحيى الونشريسي، ج1، ص367. وفقه الزكاة، للقرضاوي، ج2، ص768.

(13) فقه الزكاة، للقرضاوي، ج2، ص768.

(14) المدونة، ج1، ص344، المغني، ج2، ص509، وموسوعة الفقه المالكي، ج3، ص333، والمعونة، ج1، ص445، كفاية الأخيار، ج1، ص197.

(15) المغني، ج2، ص509.

(16) كفاية الأخيار، ج2، ص141.

(17) المدونة، ج1، ص344، ج2، ص265.

(18) موسوعة الفقه المالكي، ج3، ص333.

(19) تفسير القرطبي، ج8، ص95.

(20) المغني، ج2، ص509. فقه الزكاة، للقرضاوي، ج2، ص769.

(21) كتاب الأموال، ص696.

(22) بدائع الصنائع، ج2، ص157.

(23) الفقه الإسلامي وأدلته، ج3، ص1970.

(24) سنن ابن ماجه ، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة.

(25) كتاب الأموال، ص697.

(26) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر.

(27) نيل الأوطار، ج4، ص249.

(28) البرهان في أصول الفقه، للجويني، ج1، ص237. المحصول في علم الأصول، للرازي، ج2، ص631.

الاجتهاد في الإسلام

الحلقة الأولى

د.حمزة ذيب مصطفى
جامعة القدس/ كلية الدعوة وأصول الدين

مقدمة:

إن الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع السماوية، وهي آخر رسالة إلهية إلى الأرض، بها ختم الله الرسالات والنبوات، فكان محمد بن عبد الله، صلوات الله عليه، خاتم النبيين والمرسلين، قال جل شأنه: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ من رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً }(1).

وقد خص الله سبحانه هذه الرسالة بالخلود والشمول والعموم، فهي رحمة الله للعالمين، للناس كافة، بغض النظر عن قومياتهم، أو أقطارهم، أو أجناسهم، أو ألوانهم، بل هي للإنس والجن على حد سواء { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (2)، وهي صالحة لكل زمان ومكان، ولكل البيئات، سواء أكان ذلك في الصحراء، أم في الجنان الخضراء، في الحضر أم البادية، كما أنها صالحة لكل مجالات الحياة. من هنا أودع الله فيها خاصية المرونة، ففيها من الأصول والأحكام ما يجعلها قادرة على استيعاب كل جديد، والإجابة عن كل تساؤل، وإعطاء حكم لكل مستجد.

لذلك كان الاجتهاد أصلاً من أصول الاستنباط، وهو أحد المصادر التي تقوم عليها

الشريعة الإسلامية، ومن المحال أن تكون هذه الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، حيث أراد الله لها ذلك، ويقفل في الوقت نفسه باب الاجتهاد وإعمال العقل، والنظر في الأدلة، وإلحاق الفروع بالأصول، وقياس الأمور بأشباهها ونظائرها، بل الاجتهاد هو الذي يبقي على صلاح الرسالة، وجعلها متجددة على الدوام، وبه تغدو الرسالة آخذة بزمام قيادة الحياة لما يحبه الله ويرضاه. وبهذا تتسع الشريعة الإسلامية لمواجهة كل مستحدث، وتملك القدرة على توجيه كل تطور إلى ما هو أقوم وأصلح وأنفع.

كما أن الاجتهاد هو الذي يبقي على الأمة حية ونشطة وفاتحة ذراعيها لكل مستجد أو مستحدث خير، فيه النفع للبشرية عامة والأمة الإسلامية خاصة، وهو الذي يجعل من أمة الإسلام أمة مواكبة لكل تطور، آخذة بأهداب التقدم البشري، بحيث تطرح من الأحكام الشرعية والأمور الفقهية ما يعالج القضايا المستحدثة، وواضعة لها الحلول، ومجيبة عن كل تساؤل، مما يجعل الدين الحنيف غير جامد، ولا متقوقع في زاوية من زوايا الحياة وحسب، بل يعالج جوانب الحياة كافة، ولا يقف عند جزئية أو فترة زمنية، دون النظر إلى الأجزاء الأخر، أو الصلاح لكل فترات الزمن، من هنا كانت ضرورة الاجتهاد، وكان لزومه، فلا يجوز للمسلمين أن يحكموا على حياتهم بالتخلف والجمود، في حين غيرهم من الأمم تتطور وتتقدم، ولا يعيق مسيرة حياتها شيء.

وهذا مفصل مهم جداً، وهو من مفاصل كثيرة اختلف فيها الإسلام عن الكنيسة، واختلف فيها علماء الإسلام وفقهاؤهم عن رجال الدين المسيحي، إبان سيطرة الكنيسة على الحياة العامة في أوروبا، سيما في العصور الوسطى وما بعدها بقليل، حيث حاربت الكنيسة، وحارب رجال الدين المسيحي العلماء، واتهموهم بالزندقة والإنحراف عن الخط الديني، فحاربوا هوبز، بل أحرقوه، وسجنوا جاليلو، وأحرقوا كتبه.

أما في الحضارة الإسلامية فكانت المساجد هي محاضن العلماء، لذلك فتح الإسلام باب الاجتهاد، وأمر به، وحض عليه، ورتب الأجر على من اجتهد حتى ولو أخطأ، فرفع ديننا الحنيف من شأن العلماء، فقال سبحانه: { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}(3) وفي الحديث الشريف أيضاً : «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ»(4).

وهذا كله إذا كان الاجتهاد مستوفياً لشروطه، صادراً عن أهله، وفي محله.

تعريف الاجتهاد في اللغة

لفظ الاجتهاد مأخوذ من مادة جهد، جاء في لسان العرب: الجَهد والجُهد بفتح الجيم وبضمها: الطاقة. وقيل: الجُهد بفتح الجيم: المشقة، والجهد بضم الجيم: الطاقة. ويقال: جهد يجهد جهداً واجتهد، كلاهما بمعنى جد، أي معنى واحد.

وقال الأزهري: الجهد: بلوغك غاية الأمر الذي لا تألوا على الجهد فيه.

نقول: جهدت جهدي، واجتهدت رأيي ونفسي، حتى بلغت مجهودي.

قال ابن السكيت: الجهد: الغاية. قال الفراء: بلغت به الجهد؛ أي الغاية. وجهد الرجل في كذا؛ أي جد فيه وبالغ.

ولا يستعمل إلا ما كان فيه جهد وطاقة وكلفة، فلا يقال اجتهدت في حمل حبة قمح، ولكن يقال اجتهدت في حمل كيس قمح(5). فالاجتهاد في اللغة يعني بذل الجهد، واستفراغ الوسع في أي فعل كان.

تعريف الاجتهاد في الاصطلاح

أما تعريف الاجتهاد في الاصطلاح؛ فقد عرفه الأصوليون بتعريفات متفاوتة، ولعل أقربها ما قاله الشوكاني في قوله: هو «بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريقة

الاستنباط»(6).

وهناك من الأصوليين من لم يكتف بتعبير «بذل الوسع» فقال: استفراغ الوسع. بل زاد الإمام الآمدي على ذلك، فقال في تعريفه: هو استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه.

فجعل الإحساس بالعجز عن المزيد جزءاً من الحد والتعريف(7).

وعرفه الإمام الغزالي في كتابه «المستصفى» بقوله:

«هو عبارة عن بذل المجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال، ولا يستعمل إلا فيما فيه كلفة وجهد، فيقال: اجتهد في حمل حجر الرحا، ولا يقال اجتهد في حمل خردلة. لكن صار اللفظ في عرف العلماء مخصوصاً ببذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة. والاجتهاد التام أن يبذل الوسع في الطلب، بحيث يحس من نفسه العجز عن مزيد الطلب»(8).

في حين ما قاله الشوكاني يدل على المطلوب، وهو كاف في بابه، غير أن الذين قد زادوا على هذا التعريف إنما مرادهم أن يقطعوا الطريق على المتسرعين في الاجتهاد، ولم يبذلوا فيه قصارى جهدهم في النظر وإعمال الدليل، والاستغراق في البحث، وعدم الإستقصاء في جمع الأدلة، وإسباغ الغور فيها. لأن الاجتهاد إذا لم يستكمل فيه الفقيه والعالم قصارى جهده قد يجانب الصواب، والصواب يجانبه، فيزِلُ ويضل، فيزِلُ معه ويضل عالم كثير. من هنا منع الإمام الشافعي رحمه الله ولم يجز للعالم أن يقول في مسألة فقهية لا أعلم أو أعلم، حتى يجهد نفسه في النظر فيها، ويعمل فيها الدليل ويقلبه على كل الوجوه، ويستغرق أدلة المسألة كلها(9). وكلهم يضع نصب عينيه قول المصطفى صلوات الله عليه: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ**

مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ، فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ، وَيَضِلُّونَ»(10). فيقع في الخطأ والزلل والزيغ، فيفتي الناس بغير علم. فيكون حاله وحال من معه كما وصف المصطفى صلى الله عليه وسلم.

مشروعية الاجتهاد وحكمه

الاجتهاد مشروع بنص الكتاب والسنة والإجماع.

فقد ورد في القرآن العظيم قوله سبحانه { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }(11) والشورى لا تأتي إلا إذا أدلى كلٌ بدلوه، وصدر عن رأي، وأعمل اجتهاده فيما هو مطروح من مسائل أو مشكلات، وأبدى ما عنده من وجهة نظر، وبالمناسبة فهذا هو أساس حرية الرأي في الإسلام، ورفض الدكتاتورية، ومصادرة الآراء، وتكميم الأفواه. فهذه سياسة وثقافة مرفوضة في الإسلام.

كما جاء في قوله سبحانه:{ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ}(12)

أما السنة ففيها أيضاً الدال على مشروعية الاجتهاد، منها: قوله صلوات الله عليه: « **لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ** » فقسم من الصحابة، عليهم جميعاً الرضوان والرحمة، أخذ بظاهر النص فلم يصل العصر إلا في بني قريظة، وذلك بعد فوات وانقضاء وقت صلاة العصر، وقسم صلى في الطريق، وأخذ بروح النص وبالفهم السليم، وقالوا: إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستعجال، ولم يرد ترك الصلاة أو أداءها في غير وقتها. والحديث معروف، والقصة مشهورة (13). وقد أقر النبي الكريم صلوات الله عليه فعل الفريقين، ولم يخطئ أحداً منهما، وجاء في الحديث الشريف أيضاً: « **إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ،**

فَلَهُ أَجْرٌ».(14)

ومنها أيضاً: ما جاء عن عمرو بن العاص، قال: « **احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ، فَتَيَمَّمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو ؛ صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟! فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الِاغْتِسَالِ، وَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ:**{وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً } (15) **فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا** ».(16)

أما الإجماع: فقد أجمعت الأمة، وأجمع علماؤها وفقهاؤها على مشروعية الاجتهاد، وذلك دون مخالف أو قائل بخلاف هذا الإجماع، منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى يومنا هذا.

حكمه:

الاجتهاد فرض على الكفاية، لا يجوز أن يخلو عصر أو زمن من مجتهدين، أو مجتهد واحد على أقل تعديل. فإن خلا المجتمع المسلم من مجتهدين أو مجتهد أثمت الأمة كلها. أما إن توفر مجتهدون ولو مجتهد واحد سقط الإثم عن الجميع.

وقد نقل الإمام الشوكاني في كتابه «إرشاد الفحول، ج2، ص211» عن بعض الفقهاء، أنه لا بد من أن يكون في كل قطر من يقوم بالاجتهاد على الكفاية، لأن الاجتهاد من فروض الكفايات. وقال الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل، ج3، ص3»: **الاجتهاد من فروض الكفاية، لا من فروض الأعيان، حتى إذا استقل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع. وإن قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه، وأشرفوا على خطر عظيم، فإن الأحكام الاجتهادية إذا كانت مترتبة على الاجتهاد ترتيب المسبب على السبب، ولم**

يوجد سبب، كانت الأحكام عاطلة، والآراء كلها متماثلة، فلا بد من مجتهد، أ.هـ.

وهذا من شدة اهتمام الإسلام بالعلم وضرورة توفر العلماء ونشر العلم، حيث الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، فلا بد من أن تكون، والحالة هذه، مواكبة لكل جديد ومستحدث، كما لا بد أن تكون متجاوبة ومستجيبة ومبدية رأيها في كل مسألة أو حكم شرعي تحتاجه الأمة أو يحتاجه الفرد. وبالتالي لا بد من أن يتوفر أهل العلم والفقهاء الذين يجتهدون، ويعملون رأيهم، في النظر في الأدلة من الكتاب والسنة وعلى دراية بأقوال الأئمة والفقهاء، ولديهم القدرة في استنباط الأحكام وفق الشرائط التي سنتحدث عنها في شروط المجتهد. وهذا لابد منه ولو بقي واحد مجتهد، أو يعمل كما هو معمول به الآن من الاجتهاد الجماعي كالمجامع الفقهية، ومجالس الفتوى في كل قطر أو دولة، حتى يتمكن المسلمون من ممارسة حياتهم بعيدين عن الزيغ والضلال والإثم، ومجتنبين للحرام، ويكون رائدهم في سلوكهم ومنهجهم في حياتهم تقوى الله والورع والبعد عن الشبهات. وبهذا تهدأ نفوسهم ويكسبهم ذلك سكينة وطمأنينة على الدوام، ولا يقعون والحالة هذه في الحرج والشبهات والظنون والتخرصات والشكوك، فيدعون ما يريبهم إلى ما لا يريبهم.

مواقع الاجتهاد

إذا عرفنا معنى الاجتهاد لغة واصطلاحاً، وجب علينا أن نعلم أين يقع الاجتهاد. وهل يصح أن يجتهد كل مواطن، وفي المسائل كافة ؟

الجواب: إن الاجتهاد لا يصح، ولا يجوز في المسائل التي فيها نص قطعي الدلالة، قطعي الثبوت، كوجوب الصلوات الخمس، وصيام رمضان، والحج، والزكاة، وحرمة الربا والزنا والسرقة، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وهكذا. فلا يجوز ولا يصح أن تكون هذه

محل اجتهاد لتغيير فيها أو تبديل أو إبطال أو نسخ. فما اتفقت عليه الأمة اجماعاً من فروض أو محرمات بأدلة قطعية الثبوت، قطعية الدلالة، ليس محل اجتهاد، ولا يجوز لأحد كائناً من كان أن يجتهد بخلاف ذلك، أو يقول بخلاف ما اتفقت عليه أمة الإسلام.

أما ما كان من الأدلة ظنية الثبوت، وظنية الدلالة، أو ليس فيها نص شرعي بالمطلق، فهذا هو محل الاجتهاد، والنظر فيه، وإعمال العقل هنا فيه سعة.

ومما لا بد من التنبيه أو التنويه إليه هو أن الاجتهاد ما كان في المسائل الفقهية، لا ما كان في مجال العقيدة، لأن العقيدة لا تخضع للاجتهاد. وإنما تخضع للنصوص الثابتة من الكتاب والسنة الصحيحة.

هل يصح الاجتهاد من كل أحد، أم هناك شروط لا بد من توفرها في المجتهد؟

مما لا شك ولا ريب فيه أن الاجتهاد لا يجوز، ولا يصح ممن هب ودب، أو من كل من ادعاه، وهو باب عظيم من أبواب العلم والمعرفة، ومن أهم أبواب الفقه الإسلامي حيث يقوم عليه فهم الكتاب والسنة، وبه تقاس الأحكام الشرعية بعضها على بعض، وبه يستنبط العالم والفقيه الحكم الشرعي من الأدلة الظنية في ثبوتها ودلالتها، أو القطعية في ثبوتها، والظنية في دلالتها، والعالم هو الوحيد الذي يستطيع أن يتتبع في ذلك مواضع الإجماع، ويفهم القضايا محل النزاع، وهو الذي لديه القدرة في النظر في المتشابه من آيات الكتاب الكريم. ولا يستطيع ذلك إلا المتبحر في علوم معينة لها كل العلاقة بفهم القرآن والسنة والحديث واللغة العربية، وأصول الفقه.

وفي الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى سنعرض على الشروط اللازم توفرها في المجتهد.

الهوامش

(1) الأحزاب: 40.

(2) الأنبياء : 107.

(3) المجادلة: 11.

(4) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

(5) انظر: لسان العرب، القاموس المحيط: 1 /286، 3 /133 – 135، المعجم الوسيط: 1 /142.

(6) إرشاد الفحول.

(7) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، ج3 /204 وانظر: موقع العلامة القرضاوي على الإنترنت www.qaradawi.net تحت عنوان: الاجتهاد في الشريعة في معنى «الاجتهاد».

(8) ص 478

(9) أنظر الرسالة، موقع القرضاوي على الإنترنت www.qaradawi.net .

(10) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر في ذم الرأي وتكلف القياس

(11) الشورى: 38.

(12) النساء: 83.

(13) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب الزبير بن العوام

(14) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

(15) النساء: 29.

(16) مسند أحمد، مسند الشاميين، بقية حديث عمرو بن العاص عن النبي.

من صبر عبر

بقلم الأستاذ: كمال بواطنه
وزارة التربية والتعليم العالي

الله – عزّ وجلّ – جعل الدار الدنيا دار ابتلاء وامتحان، فما يلبث أن يخرج المرء من امتحان فيها حتى يدخل في آخر، وقد يكتب عليه القدر صنوفاً من الابتلاء، ربما أودت بحياته، وليس أمامه إلا أن يستقبل ما يواجهه بالصبر والتسليم؛ ليخرج من الامتحان فائزاً بإذن الله.

والابتلاء ليس شرّاً، بل قد يكون خيراً محضاً؛ فهو الذي يمحّص، ويعلّم، ويذكّر، وينبّه، ويجعلك أكثر قدرة على معرفة حقيقة من حولك، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد «وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» (مسند أحمد، ومن مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن العباس) تعزيزٌ لذلك ، وقد أصاب من قال:

جزى الله الشدائد كلّ خير ولـــــو أدّت إلى حرج وضيق

ومـا مدحي لها حبّ ولكن عرفت بها عدوّي من صديقي

والبلاء هو الذي يكشف معادن النفوس؛ فإمّا كشف عن طيبها، وإمّا كشف عن زيفها. يقول سبحانه:{ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ }(العنكبوت:2 – 3)، ويقول في موضع آخر: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ }

(آل عمران:142)، وفي موضع آخر { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ}(البقرة:214).

ما دامت الدنيا دار امتحان فحري بالمسلم، وقد عرف كنهها، أن يتحلّى بخليقة إسلامية، تلكم هي الصبر، والصبر كما عرفه العلماء: «حمل النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله»، ولنا أن نتوقّف قليلاً مع شطر التعريف الثاني «ابتغاء مرضاة الله»، لأنّ الفاجر قد يكون عنده صبر وجلد، ولكنّ جلده حابط، لا يبتغى به مرضاة الله.

وكان عمر بن الخطّاب ﷺ يقول: «اللهم إنّي أعوذ بك من جلد الفاجر، وعجز التقيّ» وهذه إشارة من الفاروق إلى أنّ الفجّار قد يكون عندهم جلد، وهم على الباطل، والأتقياء قد يكون عنده عجز، مع أنّهم على الحقّ، ولهذا تعوّذ أبو حفص من هذا.

ديننا، قرآناً وسنة، حفل بالصبر، وليس أدلّ على ذلك أنّه ذُكر في القرآن أكثر من سبعين مرّة، وبيّن القرآن أنّ أجر الصابرين عظيم، فقد يكون مضاعفاً { أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا } (القصص:54)، وقد يكون أجرهم مفتوحاً { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ }(الزمر:10). وهذا يقدّره علام الغيوب.

كذلك فإنّ كتاب الله زاخر بالآيات التي تحثّ المؤمنين على الصبر، الصبر على العبادة، والصبر على النعمة، والصبر على النقمة، والصبر عند ملاقاة الأعداء، وقد قيل: بين المعصية والطاعة صبر النفس عن هواها لحظات... وجميل بنا أن نتدبّر قوله تعالى: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } (الكهف :27)، وقوله – سبحانه – على لسان لقمان وهو يوصي ابنه: { وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} (لقمان:17)، وقوله جلّ وعلا وهو ينادي المؤمنين:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ

وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (آل عمران: 200)، وقوله عزّ شأنه:{ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} (الروم: 60).

ومن عجب أن يدهش المسلم للصعاب إذا لاقته، ويضيق ذرعاً بالآلام إذا مسته؛ ذلك أنّ الإنسان كما وصفه خالقه { إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً} (المعارج: 19 - 21)، فهو يحصي أوقات البلاء، ويغفل عن ساعات الرخاء، ويرى الصبر مرّ المذاق، وإذا ما نزلت بساحته أو ساحة الأمّة نازلة ضاقت نفسه، وزادت حسراته، وكان من الأولى أن يروِّض نفسه على الصبر، وطول الانتظار؛ لأنّ الصبر معلم من معالم العظمة، وعنصر من عناصر الرجولة، وهذه الحياة تحتاج إلى الأقوياء الشداد، أمّا المهازيل فتذيبهم النكبات، ويختفون من ميادين الحياة.

جاء في الحديث الشريف: « وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا، وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ» (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله وقوله عز وجل)، « ولمّا سئل المعصوم – صلى الله عليه وسلّم – : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » (سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في الصبر على البلاء).

ولعلّ في هذا بشرى لنا في أرض الرباط، فلعلّنا أشدّ أهل الأرض بلاء، بسبب ما ابتلانا الله به من اليهود الذين نهبوا أرضنا، وسفكوا دماءنا، وهدموا بيوتنا، وصادروا حرياتنا، وضيّقوا علينا في الأرزاق...وهذا يدفعنا إلى مزيد من الصبر والمصابرة؛ ذلك أنّ الناس يبتلون على قدر دينهم، وفي الحديث: « .. إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ

رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»(سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في الصبر على البلاء)، وينبغي ألا يغيب عن أذهاننا وعقولنا ما ادّخره الله من عظيم الجزاء للذين جرحتهم أشواك الحياة، فلم يقنطوا، وصبروا. يقول – صلى الله عليه وسلّم – : « يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ » (سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في ذهاب البصر)، فيا هناه من مزّق المحتلّ جسده، وهو صابر مصابر، مقبل غير مدبر، فلقي الله شهيداً شريفاً.

إنّ مما ينبغي أن يستقرّ في روع كلّ واحد منا، أنّ الجنة سلعة الله الغالية، ولا يدخلها إلا المتقون الذين لم تبطرهم نعمة، ولم تجزعهم نقمة، ومشوا على طريق الأنبياء والصالحين الذين صبروا، وعلى ربّهم يتوكلون.

مَنْ مِن الموحّدين من لا يعرف قصّة النبيّ أيوب، عليه السلام، وصراعه مع الضرّ، وتفرّق الأهل عنه، وقيل "موتهم"، ولكنه صبر حتى اقترن الصبر باسمه، فقال ربّه فيه:{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (ص: 44)، وكشف الله عنه الضرّ، وآتاه أهله ومثلهم معهم { فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} (الأنبياء: 84)

مَنْ مِن الموحّدين من لا يعرف قصة يوسف، عليه السلام، وهو الكريم بن الكريم ابن الكريم الذي تآمر عليه إخوته، وألقوه في البئر ؛ ليلقى في غيابتها مصيره المجهول، ولمّا استنقذته السيارة تملّكوه عبداً، ثمّ باعوه بثمن بخس، {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} (يوسف: 20)، ولمّا اشتراه العزيز تعرّض للدسائس الماكرة، فاتّهم وهو العفيف، وسجن ظلماً بضع سنين، ومع هذا كان خلف الجدران يذكر الله، ويذكّر

من معه بالله، ويبصّر بفضل الله من جحده؟

مَنْ مِن الموحّدين لا يعرف طرفاً من معاناة سيّد الأنبياء والمرسلين، الذي ذاق اليتم، وافتقد النصير، فمات عمّه، وماتت زوجه في أحلك الظروف، ومات أولاده الذكور في حياته، وماتت ثلاث من بناته الأربع في حياته، وأوذي في الله، ورماه السفهاء بالحجارة والأوضار، وعاداه كثير من أقاربه، وأُخرج من وطنه، ولكنّه ظلّ صابراً محتسباً، تقياً نقياً، يدعو لقومه بالهداية: «اللهم اهد قومي؛ فإنّهم لا يعلمون»، وكان شعاره دوماً «اللهمّ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي» ولقد نصر الله دعوته، فأقام للحقّ دولة، وأظهر الله دينه على الدين كلّه، وتلك هي عقبى الصبر.

من الخير أن نعرف أنّ الدنيا لا تدوم على حال، فخيرها غير دائم، وشرّها غير دائم، والأمر كما صوّره الشاعر:

ثمانية تجري على المرء دائماً ولا بدّ يوماً أن يلاقي الثمانية

سرور وحزن واجتماع وغربة وعسر ويسر ثمّ سقم وعـافية

فمن صبر عبر، والصبر أفضل العدّة على الشدّة، وهو ستر من الكروب، وعون على الخطوب، ومن صبر فهو مأجور، ومن جزع فقد جرى عليه المقدور، وهو موزور. فليجعل المؤمن صبره على النوائب موازياً لشكره على المواهب، وبذلك ينجو.

أسامة بن زيد الحب بن الحب

بقلم : الشيخ جميل جمعة / مفتي محافظة سلفيت

والده زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبي، يكنى بأبي محمد أو أبي زيد.

كان والده زيد بن حارثة مولى لخديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه الرسول، وزوجه من مولاته بركة الحبشية، حاضنته أم أيمن.

وعندما فتح رسول الله ﷺ عينيه على الدنيا فتحها على أم أيمن فأحبها عليه الصلاة والسلام أعظم حب، وأكرمها أعظم تكريم، قال ابن حجر في الإصابة: « **كان النبي ﷺ يقول عن أم أيمن (هذه بقية أهل بيتي) »**.

فالمؤمن الصادق يحب عباد الله جميعاً، لا يفرق بين جنس وجنس، ولا بين عرق وعرق، ولا بين لون ولون، ولا بين نسب ونسب، ولا بين مدينة وريف، منهاجه قول الله سبحانه { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (الحجرات: 13).

أحبه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حباً جماً، حتى عرف بين الصحابة بالحب ابن الحب.

كان أسامة، رضي الله عنه، يقارب في السن الحسن بن فاطمة الزهراء، وكان الحسن أبيض، أزهر، رائع الحسن، شديد الشبه بجده رسول الله ﷺ، وكان أسامة بن زيد أسود البشرة أفطس الأنف، شديد الشبه بأمه الحبشية، ولكن الرسول كان لا يفرق بينهما

في الحب، حبه لسبطه الحسن كحبه لابن متبناه أسامة، فيضعه على أحد فخديه، ويأخذ الحسن فيضعه على الفخذ الآخر، ثم يضمهما إلى صدره، ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا»، ولقد أوصى عليه الصلاة والسلام الصحابة به خيراً .

عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: « إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ، يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللَّهِ، إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لَهَا، وَايْمُ اللَّهِ، إِنْ كَانَ لَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَايْمُ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا لَهَا لَخَلِيقٌ، يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَايْمُ اللَّهِ، إِنْ كَانَ لَأَحَبَّهُمْ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ، فَأُوصِيكُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ».(صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما)

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «عَثَرَ أُسَامَةُ بِعَتَبَةِ الْبَابِ، فَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمِيطِي عَنْهُ الْأَذَى، فَتَقَذَّرْتُهُ، فَجَعَلَ يَمُصُّ عَنْهُ الدَّمَ، وَيَمُجُّهُ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً، لَحَلَّيْتُهُ، وَكَسَوْتُهُ، حَتَّى أُنَفِّقَهُ » (سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الشفاعة في التزويج)

ولقد أهدى حكيم بن حزام أحد أمراء قريش لرسول الله ﷺ حلَّة ثمينة شراها من اليمن بخمسين ديناراً ذهباً، كانت لذي يزن، أحد ملوكه، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبل هديته، حيث كان يومئذ مشركاً، أخذها منه بثمن، لبسها عليه الصلاة والسلام مرة واحدة، ثم أهداها لأسامة بن زيد، فرآها عليه حكيم بن حزام، فقال : «يا أسامة تلبس حلة ذي يزن؟ قال: نعم؛ لأنا خير منه، وأبي خير من أبيه، وأمي خير من أمه، فأعجب حكيم من قول أسامة» . (رواه الحاكم في المستدرك)

يروي التاريخ أن أسامة بن زيد كان ذكياً جداً، وشجاعاً خارق الشجاعة، حكيماً يضع

الأمور في مواضعها، عفيفاً يأنف من الدنايا، مألوفاً يحبه الناس، تقياً، ورعاً، وكان كثير البر بأمه، ما تطلب شيئاً يستطيعه إلا أحضره لها.

عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ « أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا، تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ خَطِيبًا، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ، فَقُطِعَتْ يَدُهَا، فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَتَزَوَّجَتْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»

(صحيح البخاري، كتاب المغازي ، باب وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني عبد الله).

وفي هذا الموقف العظيم يعلّم رسول الله ﷺ أسامة بن زيد والأمة كلها درساً عملياً في غاية الخطورة والأهمية، وهو عدم الكيل بمكيالين، فكل الناس سواء؛ القوي منهم والضعيف، والغني والفقير، والأمير والمأمور، أمام الحق والعدالة سواء.

«عن أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ، فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا،

قَالَ: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ». (صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى ومن أحياها)

وقيل أنه عاهد الله بعد ذلك أنه لا يقاتل أحداً قال لا إله إلا الله، بعد ما سمع من رسول الله ﷺ، زجره له .

وفي معركة أحد جاء أسامة إلى النبي ﷺ لينخرط في هذه الغزوة فرده عليه الصلاة والسلام لصغر سنه، فبكى، وجاء في غزوة الخندق، فرق له عليه الصلاة والسلام وأجازه.

وفي يوم مؤتة جاهد أسامة تحت لواء أبيه، رضي الله عنهما، وسنه دون الثامنة عشرة، فرأى بعينه مصرع أبيه، فلم يهن، ولم يتضعضع، وإنما ظل يقاتل تحت لواء جعفر ابن أبي طالب حتى استشهد، ثم تحت لواء عبد الله بن رواحة حتى لحق بصاحبيه، ثم تحت لواء خالد بن الوليد، ثم عاد أسامة إلى المدينة محتسباً أباه عند ربه، تاركاً جسده الطاهر على تخوم الشام، راكباً جواده الذي استشهد عليه أباه.

وفي سن مبكرة لم يتجاوز العشرين، أمّر الرسول ﷺ أسامة بن زيد على جيش بين أفراده وجنوده شيوخ المهاجرين والأنصار، ولقد استكثر نفر من المسلمين على هذا الفتى إمارة جيش فيه خيرة الصحابة، أمثال أبي بكر وعمر، وسرت هذه الهمهمة بين المسلمين، حتى بلغت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حيث صعد المنبر، وحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال : « إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ، يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللَّهِ، إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لَهَا، وَايْمُ اللَّهِ، إِنْ كَانَ لَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَايْمُ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا لَهَا لَخَلِيقٌ، يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَايْمُ اللَّهِ، إِنْ كَانَ لَأَحَبَّهُمْ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ، فَأُوصِيكُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ». (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل زيد بن

حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما)

قال الواقدي في المغازي « لم يزل رسول الله ﷺ يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر وأصحابه ووجد عليهم وجداً شديداً، فلما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة، أمر رسول الله ﷺ الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وكانوا مجدين في الجهاد، فلما أصبح رسول الله من الغد يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر، دعا أسامة بن زيد، فقال: يا أسامة أغز بسم الله في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا تتمنوا لقاء العدو، ولكن إذا لقيتموه، فاثبتوا، وعليكم بالسكوت والصمت، ولا تنازعوا، فتفشلوا، فتذهب ريحكم » .

وفيما كان الجيش يتجهز للغزو مرض عليه الصلاة والسلام، فتوقف الجيش عن المسير، انتظاراً لما تستقر عليه حال النبي ﷺ يقول أسامة ﷺ: « لما ثقل عن النبي ﷺ المرض أقبلت عليه، وأقبل الناس معي، فدخلت عليه، فوجدته قد صمت، فما يتكلم من وطأة الداء، فجعل عليه الصلاة و السلام يرفع يده إلى السماء، ثم يضعها عليّ، فعرفت أنه يدعو لي، وما لبث عليه الصلاة والسلام أن فارق الحياة، وتمت البيعة لأبي بكر، وأول قرار اتخذه خليفة رسول الله ﷺ إنفاذ بعث أسامة، وقد مشى أبو بكر ﷺ في وداعه، وأسامة راكب، فقال : يا خليفة رسول الله ﷺ لتركبن، أو لأنزلن ، فقال ﷺ: والله لا تنزل، ووالله لا أركب » .

وقد ثبت أسامة ﷺ في قيادة جيشه إلى الشام، حيث إنه ذو جلد على تحمل المشاق، وذو شجاعة فائقة، وعقيدة راسخة، وعقلية راجحة متبصرة بالأحداث والنتائج، مما أكسبه سمعة عالية، وصيتاً وشهرة كبيرة بين الصحابة، فقدروه، وأحبوه، ولمسوا بأنفسهم مدى إصابة الحق في اختيار النبي ﷺ له في إمارة الجيش.

ويوم حنين حينما انهزم المسلمون، ثبت أسامة بن زيد مع العباس عم الرسول ﷺ، وجمع قليل من الصحابة الكرام، استطاع بهم أن يغير وجه المعركة من هزيمة إلى نصر، وأن يحمي المسلمين الفارين من أن يفتك بهم المشركون .

وفي ذات يوم جلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، يقسم أموال بيت المال على المسلمين، وجاء دور عبد الله بن عمر بن الخطاب، فأعطاه عمر نصيبه، ثم جاء دور أسامة بن زيد، فأعطاه عمر ضعف ما أعطى ولده عبد الله، هنالك سأل عبد الله أباه، قائلا : «لقد فضلت عليّ أسامة، وقد شهدت مع رسول الله ﷺ ما لم يشهد، فأجابه عمر: إن أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك ».

فمن هذا الذي بلغ هو وأبوه من قلب الرسول وحبه ما لم يبلغه ابن عمر وما لم يبلغه عمر ذاته، إنه أسامة بن زيد .

اعتزل أسامة بن زيد ﷺ الفتن بعد مقتل عثمان ﷺ إلى أن توفي في أواخر خلافة معاوية ﷺ.

سكن المزة غرب دمشق، ثم رجع فسكن المدينة المنورة (بالجرف)، ومات فيها عام 54هـ، وله من العمر 61 سنة .

رضي الله عن أسامة بن زيد ووالده وجميع صحابة رسول الله ﷺ، وجعلنا لهم من المتبعين، لا المبتدعين، وحشرنا يوم القيامة مع سيد المرسلين محمد ﷺ.

المراجع

1. رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد
2. الإصابة في معرفة الصحابة ، ابن حجر العسقلاني
3. محاضرات في سيرة الصحابة، د. محمد راتب النابلسي

المناخ المدرسي والعملية التربوية

بقلم : الأستاذ يوسف عدوي

جامعة بيت لحم

المدرسة في اللغة؛ هي مكان الدرس والتعليم . والدرس هو الطريق الخفي ، وروي عن ابن العباس في تفسيره لقوله عز وجل : {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(الأنعام:105)، قال: معناه وكذلك نبين لهم الآيات من هنا، ومن هنا لكي يقولوا إنك دَرَسْتَ؛ أَي تعلمت، أَي هذا الذي جئت به عُلِّمْتَ. ودَرَسْتُ الكتاب أَدْرُسُه دَرْساً؛ أَي ذللته بكثرة القراءة حتى خَفَّ حفظه عليَّ، ويقال: سمي إِدْرِيس، عليه السلام، لكثرة دِراسَتِه كتابَ اللَّه تعالى، واسمه أَخْنُوخُ.. (المعجم الوسيط ، لسان العرب، ج6، مادة درس).

المدرسة في الاصطلاح: هي مؤسسة اجتماعية أوجدها المجتمع لكي تنوب عنه في عملية إعداد المواطنين إعداداً شاملاً، يمكنهم من التكيف، والمساهمة في تطوير المجتمع ورفعه نحو التقدم، في إطار ما ننشده من أهداف على المدى القريب والبعيد . أما مفهوم المناخ المدرسي فيعني بشكل عام الجو التعليمي السائد في المدرسة، وإحساس الناس وشعورهم تجاه المدرسة ، وما إذا كانت فكرتهم عنها مكاناً صالحاً للتعلم ، فالمناخ الإيجابي يبعث في نفس كل طالب وموظف الراحة النفسية، ويجد متعته في الوقت الذي يقضيه داخلها، ويفضل أن يطول وقت تواجده في داخل المدرسة، فالجو الإيجابي يبعث على الشعور

بالارتياح في النفس، ويقوي الروح المعنوية، وبالتالي يحسن الإنتاج .

إن الهدف من الإنتاج هو أن توفر المدرسة بنية تعليمية مناسبة ومنتجة، تؤدي إلى نمو الطالب أكاديمياً وجسمياً وعقلياً وروحياً، وامتلاك مهارات أساسية في التحصيل، وتوسيع قاعدة معلوماته ومعرفته، واستخدام النقاش والحوار في حل المشاكل. والهدف الأول للمناخ المدرسي هو الوفاء بالاحتياجات والمتطلبات الأساسية لجميع من في المدرسة، عن طريق توفير الحاجات الجسمية، بما في ذلك توفر الإنارة والدفء والبعد عن الارهاق، وعدم تعريضهم لأية أخطار داخلية أو خارجية، سواء أكانت نفسية أم جسمية. والمناخ المدرسي أشبه بالطقس، فعندما يكون الطقس جيداً، فإن هذا يبعث السعادة في الفرد، ويجعله أكثر إنتاجاً، من خلال إحساسه بالأمان، وشعوره به.

إن أكثر ما يؤثر في أداء الطلبة، وفي سلوكهم، هو تصميم البناء المدرسي هندسياً ، فشكل المدرسة مهم جداً، فالتصميم الجيد يراعي التهوية، والإضاءة، والساحات، والمرافق الصحية. والبناء المدرسي الآمن الصحي يفترض أن يكون على شكل U أو T أو L وما شابه ذلك، أي مفتوح ، وليس مغلقاً، مثل تصميم بعض المدارس الفلسطينية، والتي صممت بطريقة تجعل من المدرسة سجناً مرعباً، مما يسبب في تلوث وتسمم ناجم عن الضوضاء والضجيج، الذي يؤدي إلى فقدان السمع والأرق واضطراب الأفكار، وبعض الاضطرابات العقلية، والاختلال النفسي، والميل إلى العزلة، والتأثير على الأوعية الدموية، والجهاز العصبي، وحدوث تقلصات في الأوعية الدموية السطحية، وزيادة في إفراز هرمون الأدرينالين مما يؤدي إلى تغيرات في ضربات القلب، وضغط الدم، وقد تؤدي الضوضاء إلى جلطات دماغية، وكل ذلك يؤدي إلى تدني مستوى التحصيل .

وهذا كله يجعل المدرسة تقوم بدور عكسي يساهم في تدمير الأجيال، فالمدرسة أقيمت من أجل الكشف عن ميول الطلبة، وقدراتهم، واستعداداتهم الفطرية، والعمل على

توجيهها بما في صالحهم، وصالح المجتمع، وتنمية شخصية الطالب، وتربيته تربية عقلية سليمة، لتكون شخصيته متكاملة .

هناك مؤشرات تدل على المناخ المدرسي السيء، وتحد كثيراً من نجاح المدرسة بسبب الضوضاء، وهي: ارتفاع نسبة غياب الطلبة والعاملين فيها، وخرق الأنظمة المدرسية بشكل مستمر، وعدم المبالاة، وازدياد حدة القلق والتوتر، وكراهية الكثير من الطلبة للمعلمين والمدرسة، وزيادة العنف، والتسرب من المدرسة، وتدني قيمة المدرسة في نظر الطلبة والعاملين .

لقد لاحظت أن الكثيرين كتبوا في الكثير من القضايا والمشكلات المتعلقة بالتربية والتعليم، وتحصيل الطلبة وسلوكهم، ولم يتطرقوا إلى قضية تصميم البناء المدرسي، وتأثيره على أداء الطلبة وسلوكهم، ومناخ المدرسة العام، لما لهذه المسألة من أهمية في تحقيق أهداف المدرسة وغاياتها المتمثلة في التربية، وإعداد الأجيال ضمن ظروف مادية ونفسية مناسبة، مما يجعلها قادرة على تحقيق الرؤية المستقبلية للتعليم في ضوء معايير الجودة الشاملة، وتكفل للطلبة جميعهم فرصاً تعليمية متميزة ومتكافئة، في ظروف مناسبة، تسمح بضبط سلوك الطلبة، وعواطفهم، وانفعالاتهم، وتكوين العادات الحسنة، وبناء الاتجاهات السليمة وتنميتها، والالتزام بالمعايير المقدرة .

المراجع

1. الاتجاهات الحديثة للإدارة المدرسية ، طارق عبد الحميد البدري ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، 2005م.
2. سيكلوجية الإدارة التعليمية والمدرسة وآفاق التطوير العام ، محمد جاسم محمد ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2004م .
3. لسان العرب ، ج6 ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
4. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، دار المعارف ، مصر .
5. نهج جديد في التعلم والتعليم ، محمد عبد الرحيم عدس ، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ، 1997م .

الطريف في التصحيف

بقلم : أحمد ذياب عطايا

قسم القرآن / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

القاعدة النبوية العظيمة تقول (**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ**) (1)

وقد قيل : (من لا يعمل لا يخطئ)، كأن هناك علاقة طردية بين العمل والخطأ ، فكلما تضاءل عمل الإنسان كان نصيبه من الخطأ أقل ، والعكس بالعكس ، والذين لا يخطئون هم الموتى فقط .

هذه المقدمة ليست تبريراً للخطأ ، ولا تشجيعاً عليه ، إنما هي تقرير لواقع الإنسان ، كمخلوق استولى عليه النقص ، ذلك أن الكمال لله وحده جل جلاله .

وضروب الخطأ كثيرة متشعبة لا يحاط بها، وأود هنا الحديث عن نوع واحد من أنواع الخطأ ، وهو التصحيف .

التصحيف لغة : هو الخطأ في الصحيفة ، يقال : المُصَحِّف (بفتح الصاد وتشديد الحاء المكسورة) هو الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف(2).

وعرف الجرجاني التصحيف، فقال : «أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراد كاتبه»(3)

وقد وقع في التصحيف جماعة من الأجلاء من أئمة اللغة، وأئمة الحديث، حتى قال الإمام أحمد : «ومن يعرى من الخطأ والتصحيف؟» (4)

والمصنفات في التصحيف كثيرة، منها تصحيفات المحدثين لأبي سعيد المكفوف

(ت 282 هـ)، وأخبار المصحفين للعسكري (ت382 هـ)، وتصحيف المحدثين للدارقطني (ت 385هـ)، والتطريف في التصحيف للسيوطي (ت 911 هـ)، وغيرها. فإذا كان لسلفنا العذر أو بعض العذر في التصحيف على اعتبار خطوط اليد المختلفة من شخص لآخر ، أو باعتبار أن الحروف لم تكن منقطة في يوم من الأيام ، فما عذرنا نحن اليوم؟!

إن جرائدنا ومجلاتنا ومصنفاتنا اليوم تعج بالأخطاء المطبعية، مما أساء إلى مكانتها، وأفقدها كثيراً من قيمتها، وإن من المؤسف حقاً أن الكتب القديمة، التي نطلق عليها اليوم (الكتب الصفراء) كانت أقل أخطاء من الكتب التي تقذفها دور النشر هذه الأيام، وهذا مما يزعج القارئ، ويلبس عليه، ويزهده في متابعة القراءة، والسبب في تقديري أن النظرة المادية التجارية هي الطاغية على دور النشر، أو على القائمين على تحرير الصحف والمجلات، فلا يعطون هذه المسألة – مسألة مراجعة الأخطاء المطبعية وتصحيحها – أدنى اهتمام، ولا يحفلون بتعيين خبراء مختصين في هذا المجال، لأن ذلك سيكلفهم عبئاً مالياً جديداً ، وهذا ما يرفضه من كان همه الربح والتسويق وجمع المال، لهذا تدنى مستوى التصحيح، فتزعزعت ثقة القراء بهذا المطبوعات .

وأود هنا أن أورد بعض تصحيفات المتقدمين والمتأخرين الطريفة، والتي تثير الضحك أحياناً، أو تدل على الغفلة، وربما عدم الشعور بالمسؤولية، ليرى القارئ الكريم أن نقطة واحدة قد تغير الكلمة وتخرجها عن مفهومها، وأن نقطة أخرى قد تغير حكماً شرعياً، ونقطة ثالثة تغير فهماً لآية قرآنية أو حديث نبوي ، ونقطة رابعة قد تحدث أزمة سياسية، ونقطة خامسة قد تغلق صحيفة ، ونقطة سادسة قد تسجن صاحبها ....إلخ .

1 ـ تصحيفات المتقدمين

إن أبرز من كتب في التصحيف هو الإمام الدارقطني – رحمه الله – وقد كان يمتلك ذاكرة حديدية ، وهو صاحب أكبر كتاب في العلل ، وقد كان – رحمه الله – (كمبيوتر) عصره، لهذا فإني اخترت معظم ما أورده من أمثلة هنا من كتابه (تصحيف المحدثين).

* **روى الإمام الدارقطني قال** : نظر أحدهم في المصحف فقرأ { جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رجل أَخِيهِ } فقيل له (رَحْلِ) أخيه ، فقال : أنا لا أقرأ بقراءة حفص عن عاصم (5).

* **وروى الدارقطني قال** : كنت بطبريا الشام ، أكتب على شيخ فيها، عنده جزء من أبي عمرو الدوري – أحد القراء السبعة – وكان فيه أن يحيى بن معمر قرأ { إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ شيخاً طَوِيلاً } بدلاً من «سَبْحاً» (6).

* **قال أبو فزارة** : قلت لسعيد بن هشيم، لو حفظت عن أبيك عشرة أحاديث ، سُدْتَ الناس ، فقال: شغلني عن ذلك القرآن، وفي يوم جاء إليّ فقال: أكان جبير نبياً أم صديقاً؟ قلت : من جبير هذا ؟! قال: الذي ورد في القرآن الكريم {فَاسْأَلْ بِهِ جبِيراً} والآية {فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً }(7).

* **وقرأ أحدهم** { فَرِيقٌ فِي الحبة وفَرِيقٌ فِي الشعير } بدلا من { فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} (8).

* **وجاء رجل إلى الليث بن سعد فقال** : كيف حدثك نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ في (الذي نشرت في أبيه القصة) ؟ فقال: ويلك إنما في (الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ) (9).

* **وكان حيان بن بشر من رواة الحديث**، وكان قد تولى القضاء في أصبهان، فقال يوماً: إن عرفجة بن أسعد قطع أنفه يوم الكلام، فقال رجل إنما هو (يوم الكِلاب)، فأمر

بحبسه، فدخل الناس إليه، وقالوا: ما الذي فعلته حتى حبسك القاضي ؟ قال : قطع أنف عرفجة في الجاهلية، وابتليت به في الإسلام (10).

* **وقرأ أحدهم من صحيفته** : «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ شيئا مِنْ شَوَّالٍ» ، بدلا من (سِتًّا) (11) .

* **وروى الدارقطني قال**: أملى علينا أبو شاكر مولى المتوكل حديث (اكتحلوا وتراً واذهبوا عنا) وإنما هي : «وادهنوا غباً» (12).

* **ولما مات يحيى المحدث**، أجلسوا مكانه محدثاً يعرف بمحمد بن يزيد، فأملى عليهم حديث (يا أبا عمير ما فعل البعير) فحوّل النغير -طائر صغير- إلى بعير (13).

* **وعن زكريا بن مهران**، قال : صحف رجل فقرأ (لا يورث جميل إلا بثينة) وقصة غرام جميل وبثينة مشهورة في التاريخ، وأصل الحديث «لَا يُوَرِّثَ الْحَمِيلَ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ» والحميل هو اللقيط (14) .

* **وروى آخر حديث** (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْقَزَعِ) والقزع : حلق بعض الرأس وترك بعضه، فرواه صاحبنا (نهى رسول الله ﷺ عن القرع) فأصبح أكل القرع محرماً أو مكروها (15).

* **وروى أحدهم** فقال : (لعن النبي ﷺ الذين يشققون الحطب) وإنما هي : الخطب لا الحطب (16).

* **وفي السيرة** ، عن حارثة بن مضرب، قال : لما كانت غزوة بدر برز عيينة وستة والوليد، فذكر عيينة، بدلا من عتبة وستة بدلا من شيبة.

* **وقرأ أحدهم** { فِي بُيُوتٌ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ } بتنوين ضم على التاء، فقال آخر: إنما هي «بُيُوتٍ» بالجر، فقال: يا جاهل؛ إذا كان الله تعالى أذن أن ترفع، أفَتجرها أنت ؟(17).

* هذا عدا عن أخطاء كثيرة في رسم الحرف، خاصة الرموز منها، فيكتب أمام (حديث صحيح) حرف (ض) أي ضعيف، بدلا من (ص) أي صحيح .

* **ومنهم من قرأ** {وَلِلّهِ ميزاب السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} فقيل له : ما معنى هذا ؟ قال : هذا المطر الذي نراه ، والآية { وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }(18).

2ـ تصحيفات المتأخرين (الأخطاء المطبعية)

التصحيفات والأخطاء المطبعية في كتبنا ومجلاتنا وجرائدنا لا يحاط بها، ولا تحصر في مصنف، لكني أورد هنا بعض الأمثلة الطريفة من التصحيف، سواء كان في النقط، أو في الحروف تقديماً وتأخيراً، أو تغييراً .

* **أثناء الوحدة بين مصر وسوريا** جاء في صحيفة المساء ما نصّه : (علم مندوب المساء أن بيان فبراير الذي يلقى في البرلمانين سيلعن أسس الدستور المؤقت) وكان المقصود: (سيُعْلِن).

* **في إحدى الصحف العربية**، وفي صفحة الاجتماعيات ، جاء الخبر كما يلي : « وكان سعادته يرتدي بدلة سوداء وربطة عنق ملوثة بدلا من (ملونة) .

* **ونشرت إحدى المجلات مقالاً لأحد الكتاب** جاء فيه : (أتمنى أن أرى السنوات القادمة وهي تحمل مزيداً من التلاحم بين الكفر العربي والسياسة العربية). فقد حولت الصحيفة كلمة الفكر إلى الكفر.

* **ومن الأخطاء البشعة** ما ورد في إحدى الصحف من خبر يفيد عودة أحد المسؤولين إلى أرض الوطن، فجاء الخبر كما يلي: (عورة السيد فلان بيمن الله ورعايته .....)

* **ومثل هذا**، بل أسوأ منه، ما نشرته إحدى الصحف العربية، فقالت : الرئيس يعري أخاه ..... في حادثة الطائرة المنكوبة، والقصد بالطبع – (يعزي) ، وهذا خلق أزمة

حقيقية للصحيفة .

* **وذكر الكاتب أحمد رجب خبراً**، فقال : كانت السيدة حكمت أبو زيد وزيرة الشؤون الاجتماعية السابقة في جولة بكفر الشيخ، ونشرت إحدى الصحف خبر هذه الجولة عنوانه (حكمت أبو زيد تتبول في كفر الشيخ) بدلاً من : تتجول، مما أثار ضجة، لكن الوزيرة سامحت الصحيفة عندما أدركت أنه خطأ مطبعي غير مقصود.

* **وخبر آخر في إحدى الصحف العربية** يقول: (مجلس الوزراء يَجْتَثَ اليوم حقوق عمال السكك الحديدية) والمقصود: يبحث.

* **وفي صحيفة أخرى**، عنوان يقول: (وزير ..... يضع حجر الأساس لمشروع تجهيل المدينة) وأصل الخبر: (تجميل) المدينة.

* **ونشرت إحدى الصحف** خبراً يقول « توفي فلان من مرضه، الذي لازم الفراش من أجله طويلاً ، تهانينا ... » مع أن الخبر في الأصل(عوفي) من مرضه، وليس: توفي.

* **وكتب أحدهم لصديقه** الذي تعرض لوعكة صحية : « .... وأضرع إلى الله العلي القدير أن يمن عليكم بالشقاء العاجل » ، فالنقطة الزائدة حولت الشفاء إلى شقاء .

* **ونشرت الأهرام** مقالاً تبجل فيه الشيخ الخضري، فكان عنوان المقال هكذا : «الأهرام تثني على عمّة الشيخ الخضري» والمقصود : همة الشيخ لا عمته، وهذا سبب أزمة أثارها الشيخ مع الأهرام.

* **وصدر عن جريدة الأخبار المصرية** خبر عنوانه « كلاب الإسكندرية ينهون إضرابهم»، وأصل الخبر: طلاب الإسكندرية، وهذا الخبر كان سبباً في استئناف الإضراب من جديد، وأن الجريدة كانت مناوئة حينها لإضراب الطلاب، فاعتبرها الطلاب مقصودة متعمدة.

* **ولهذا فليس غريبا** أن تكتب إحدى المجلات الأسبوعية عن نفسها، فتقول : «أوسخ

المجلات العربية انتشاراً » بدلا من « أوسع المجلات » جزاء وفاقاً .

* **وعلى غلاف أحد الكتب** وضعت عبارة « يرصد ريع هذه الطبخة ... بدلا من الطبعة.. ».

* **ونقلت إحدى الصحف** لقاء مع الشيخ علي الطنطاوي (رحمه الله) وكان مما قاله: دعتني جمعية الإصلاح في الكويت إلى إلقاء محاضرات .... لكن الصحيفة كتبت الخبر كما يلي « دعتني جمعية الإصلاح في الكويت إلى إلغاء محاضرات ... »

* **وأمام تحويلة بأحد الشوارع**، وضعت لوحات لتحذير العابرين وتنبيههم، وكانت إحدى اللوحات ، بخط أحمر شديد الوضوح: (انتبه، عمال يشتعلون) بدلا من : يشتغلون.

* **ونشرت صحيفة عربية** خبراً عن مشعوذ إندونيسي اسمه أحمد جنيدي قدم عروضاً، فقالت « وكان المتفجرون في الحفلة » والمقصود « المتفرجون » .

* **وعندما طالبت الأهرام المسؤولين** بتجديد شباب القضاة ، نزل الخبر كالتالي : الأهرام تطالب بتجريد ثياب القضاة (19) .

أقول : هذا غيض من فيض، وبعض من كل، وإلا فإن الأمثلة لا تكاد تحصى، فلا يحصرها مصنف، ولا يحويها كتاب، وما أوردته من أمثلة جزء يسير، لأقول: إن المسألة بحاجة إلى وقفة ومراجعة، صحيح أننا لا يمكن أن نقضي على الخطأ بشكل نهائي، لكن بإمكاننا التخفيف منه، وقد قيل : "ما لا يدرك جله لا يترك كله" .

وَلَديَّ كلمة أخيرة أقولها لمجلة الإسراء الغراء، لا شك أنه سيكون من الطريف جداً أن ينشر هذا الموضوع في المجلة، وفيه كثير من التصحيفات... عندها يمكننا القول : « كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا»

الهوامش

1. سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع عن رسول الله، رقم الحديث (2499) .

2. لسان العرب / مادة صحف / 9 /187 .

3. التعريفات للجرجاني (ص59) .

4. المزهر في علوم اللغة (2 /353).

5. يوسف: 70 .

6. المزمل:7 .

7. الفرقان: 59 .

8. الشورى:7 .

9. صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب.

10. مسند أحمد، أول مسند البصريين، حديث عرفجة بن أسعد.

11. سنن الترمذي، كتاب الصوم عن رسول الله، باب ما جاء في صيام ستة أيام من شوال.

12. حديث : اكتحلوا وتراً وادهنوا غباً ، أخرجه الحاكم في المستدرك (3 /347) .

13. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل.

14. سنن الدرامي، كتاب الفرائض، باب في ميراث الحميل.

15. سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في الذؤابة.

16. حديث : لعن رسول الله ﷺ الذين يشققون الحطب، أخرجه الطبراني (19 / 848) ، وهو ضعيف .

17. النور:26 .

18. آل عمران:180.

19. انظر : طرائف الأخطاء الصحفية والمطبعية /منذر الأسعد.

آفة الغفلة المهلكة

الأسباب والآثار والعلاج

الحلقة الثانية

الشيخ: علي أحمد نمر مصلح / مفتي محافظة قلقيلية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

فقد تطرقنا في الحلقة الأولى إلى معنى الغفلة، والسبب الأول من أسباب الغفلة، وفي هذه الحلقة سنتطرق إلى سبب آخر من أسباب الغفلة، ألا وهو:

طول الأمل، وعدم تذكر الموت، هادم اللذات، وما بعده من أهوال وطامات :

اعلم يا عبد الله – رحمني الله وإياك – أن ذكر الموت يعرفك حقيقة نفسك، وحقيقة الدنيا من حولك، وحتى تزداد معرفةً ويقيناً، فاطرح هذا السؤال على نفسك، وقل: ما مصيرنا؟ وماذا ننتظر؟ ولا شك أن كل عاقل في هذه الحياة يعرف الجواب كما يعرف نفسه، ولكن، واعجباه ... وحتى أُقرِّب لك البعيد أخي الحبيب، أتلوا على مسامعك قول الحق سبحانه { وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ*وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ* وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ* لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ }(1) ويقول ﷺ مذكراً أصحابه بالموت « **أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**» –يَعْنِي الْمَوْتَ– (2) ومبيناً أن الإنسان بين أجله وأمله، والأعراض التي تصيبه من حوله، ففي الحديث الذي يرويه ابن مسعود ﷺ، يقول : « **خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ، خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا، إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ**

مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا » (3)

نعم يا عبد الله، تتعدد صور الأحداث التي يموت فيها الناس، ولكن سبب الموت واحد وهو انتهاء الأجل، تذكر الموت دائماً، لأنه يأتي بغتة، ومن خاف الوعيد ، قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب، يقول الحسن، رحمه الله، «**اتق اللّه يا ابن آدم؛ لا يجتمع عليك خصلتان؛ سكرة الموت، وحسرة الفوت**» ولا تكن، رحمني الله وإياك، ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل، قال الربيع بن خيثم: «**لو غفل قلبي عن ذكر الموت ساعة واحدة، لفسد قلبي**»، وعن ابن عمر قال: « **أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ**»(4) وقال ذو النون المصري: «**توسدوا الموت إذا نمتم، واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم، كونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولا بد لكم من الآخرة**» وكان عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- كثيراً ما يتمثل:

نــهارك يــا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والــــــردى لك لازم

وسعيك فيمــا سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم (5)

قال مطرّف : « **أفسد الموت على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيماً لا موت فيه** ».

فحقيق على من كان الموت موعده، والقبر مورده، والحساب مشهده، أن يقصر أمله، وتعلو همته، ويحسن عمله، فهيئ جهازك، وقدم زادك، وكن وحي نفسك، فدارنا أمامنا، وحياتنا بعد موتنا إمّا إلى الجنة، وإمّا إلى النار، قال حاتم الأصم : « **ما من صباح إلا الشيطان يقول لي: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر**».

أجل يا عبد الله : كن دائما من الله على حذر، ومن دنياك الفانية على خطر، ومن الموت على وجل، ولقدوم الآخرة على عمل، فأكيس الناس: أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً، قال ابن عمر لمجاهد « **إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، وخذ من حياتك لموتك** »، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « **اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، و صحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، و شبابك قبل هرمك، و غناك قبل فقرك** »(6) وجاء في الأثر «**ما من يوم تطلع فيه الشمس، وينشق فجره، إلا ومناد ينادي، فيقول: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فاغتنم مني، فأني لا أعود إلى يوم القيامة** » (7)

ابن آدم؛ إن أكيس الناس وأعقلهم، أكثرهم ذكراً للموت، لأن من كان هذا حاله، انطبق عليه ما قاله الحسن –رحمه الله –: « إن الموت قد فضح الدنيا، فلم يدع لذي لبّ بها فرحاً » ويقول يونس بن عبيد: «ما ترك ذكر الموت لنا قرة عين في أهل ولا مال». ويقول مطرّف : « إن هذا الموت قد فسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا نعيماً لا موت فيه، لقد أَمِنَ أهل الجنة الموت فطاب لهم عيشهم، وأمنوا الأسقام، فهنيئاً لهم طول مقامهم » . وماذا بعد الموت يا عبد لله :

مثل وقوفك يوم العرض عريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانـــا

والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا

اقرأ كتابك يـــا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفا غير ما كـــانا

لمـــــتا قرأت وله تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانـــا

نادى الجليل خذوه يـــا ملائكتي ... وامضوا بعيد عصى للنار شيطانا

المشركون غداً في النـــار في لهب ... والمؤمنون بدار الخـــلد سكـــانا

كان سلفنا الصالح – رضي الله عنهم وأرضاهم – إذا شهدوا جنازة لا يرون إلا باكين، مشفقين من شدة خوفهم من الموت، وما بعده من أهوال وشدائد، ومتأملين بمن مضوا من أقرانهم، مستبصرين ومعتبرين بموتهم، فحاسبوا أنفسهم قبل أن يصير الحساب إلى غيرهم، فباعوا الدنيا، واشتروا الآخرة، لأنهم علموا، ووعوا، وأيقنوا، وامتثلوا، قول الله تعالى:{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}(8)

أجل يا عبد الله: إن دار الآخرة لهي دار القرار، التي لا يموت سكانها، ولا يخرب بنيانها، ولا يهرم شبابها، ولا يبلى نعيمها، ولا يتغير حسنها، « **فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** » (9)

فما بالنا نحن يا عباد الله، تمر الجنائز بنا، بل ومنا من يحملها على كتفه مشيعاً لها، ومنا من يصلي عليها، ومنا من ينتظر خارج المسجد لا يصلي لله ركعةً واحدةً، ومنا من حفر القبر بيديه، ومنا من أدخل الميت في قبره، وأهال التراب عليه، وكأننا بالذي سرى عليه لا يسري علينا.

ويا ليت الأمر قد انتهى إلى هنا، فواحسرتاه، إن من شدة غفلتنا وتهالكنا على دنيانا التي أنستنا آخرتنا فأضرت بها ، لترانا نضحك، ونلهو، ونتمازح، ونحن على ظهور المقابر فوق الأموات ، لا نراعي لها حرمة ، ولا نقيم للموت وزناً مع أن الحكمة من زيارة القبور تذكيرنا بالآخرة، كما قال رسول الله ﷺ « **إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ** ....»(10) وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: « **أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث، أضحكني مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك بملء فيه ولا يدري أرضى اللّه أم أسخطه، وأبكاني فراق الأحبة محمد وحزبه، وهو المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي اللّه عز وجل يوم تبدو السريرة علانية، ثم لا أدري إلى الجنة أم إلى النار** » (11)

يا الله : إن سكران الدنيا لا يفيق فيها إلا في معسكر الموتى، نادماً مع الغافلين .

تالله لو عاش الفتى في عمره ألفاً من الأعوام من دهره
متنعماً فيها بكـــــل لذيذة متلذذاً فيها بنعمى عصره
لا يعتريه السقم فيهـــا مرة كلا ولا ترد الهموم ببـــابه
ما كان هذا أن يساوي مـــرةً بمبيت أول لـــيلة في قبره

عباد الله : لقد مات عند الكثير الشعور بالذنب والتقصير ، فتجرؤوا على فعل الفواحش والمنكرات والموبقات على المقابر في وضح النهار ، وفي ظلام الليل، بلا خوف، ولا وجل، كما أخبرني الثقات، فكم من حالة زنا، ولواط، وشرب خمر، أو لعب قمار، سجلت في ملفات المحققين، وإني والله لأعجب أشد العجب، فأقول : ألم يمل أولئك هذه الحياة! وإلى متى هذه الغفلة عن الموت، والقبر، والحساب، والصراط، والنار، والعذاب! فهنالك تذهب اللذات، وتبقى التبعات، وتنقضي الشهوات التي أورثت الحسرات، متاع قليل ثم عذاب أليم، ثم صراخ وعويل في دركات الجحيم، طعامهم فيها الزقوم، وشرابهم الحميم، مع دوام عذابهم الذي لا ينقطع ولا يزول، فهل يستوي هذا مع من أنعم الله عليهم من أهل النعيم المقيم، في جنات عدن، بين أنهار من ماء، وأنهار من لبن، وأنهار من خمر، وأنهار من عسل مصفى، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، لهم فيها كل ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، جعلني الله وإياكم من أهلها، وأجارني وإياكم من عذاب النار ولهيبها، فتنبه يا عبد الله؛ وكن من المخلصين العاملين، ولا تكن من الغافلين، وكن دائما من أهل الآخرة، ولا تكن من أهل الدنيا، قال ابن مسعود ﷺ: «**من أراد الآخرة أضر بالدنيا، ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة**»، وتفكر يا مغرور في الموت وسكراته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، كفى بالموت واعظاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهادماً للذات، وقاطعاً

للأمنيات، فيا من شغلت نفسك بجمع المال، واجتهدت في رفع البنيان، ليس لك والله من مالك إلا الأكفان، بل هي للخراب والذهاب، وجسمك آخره للتراب والمآب، فأين الذي جمعته من المال؟ هل تراه أنقذك من الأهوال؟ كلا؛ بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك.

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح فيها بغير القطن والكفن

الهوامش

1. ق: 19 - 22 .
2. سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في ذكر الموت.
3. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله.
4. سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في قصر الأمل.
5. أبيات قالها الإمام ابن القيم، رحمه الله تعالى.
6. أخرجه الألباني في صحيح الجامع.
7. قول للحسن البصري، رحمه الله.
8. العنكبوت : 64.
9. صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.
10. مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه.
11. كتاب الزهد، عبد الله بن المبارك، رحمه الله، ص 84.

من أخبار مكتب المفتي العام ودور الإفتاء الفلسطينية

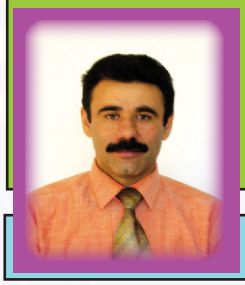

إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير دائرة الإعلام

خلال الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج

سيادة الرئيس محمود عباس «أبو مازن» :

"القدس تواجه أخطار التهويد، واستعادة الحقوق مفتاح السلام"

والمفتي العام يبين أهمية القدس والمسجد الأقصى المبارك

بيت لحم : تحت رعاية سيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس «أبو مازن»، وبحضور رئيس داغستان «موخو علييف»، وبدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، شارك سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية - في حفل إحياء

ذكرى الإسراء والمعراج، الذي أقيم في قصر الرئيس في بيت لحم، وقد أكد سيادة الرئيس أبو مازن على أن القدس تواجه أخطار التهويد، وأن استعادة الحقوق مفتاح السلام، وأضاف سيادته: "إننا نحتفل بذكرى الإسراء والمعراج لتأكيد صمودنا على أرضنا المقدسة، وإصرارنا على مواصلة الطريق حتى إنجاز مشروعنا الوطني، بإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة على أرضنا الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل في الرابع من حزيران عام 1967م، وعاصمتها مدينة الإسراء والمعراج". وبدوره تحدث سماحة المفتي العام عن أهمية القدس والمسجد الأقصى، الذي بارك الله حوله، وتطرق سماحته إلى معجزة الإسراء والمعراج، وما لها من أهمية في حياة المسلمين، وأشار معالي الدكتور محمود الهباش – وزير الأوقاف والشؤون الدينية – إلى أن الله أكرم بالإسراء والمعراج سيدنا محمداً ﷺ، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى المبارك، وهذه الأرض المقدسة المباركة.

بحضور دولة الدكتور سلام فياض رئيس الوزراء

المفتي العام يشارك في حفل تخريج جمعية قلنديا

القدس: بحضور دولة الدكتور سلام فياض / رئيس الوزراء الفلسطيني، شارك سماحة الشيخ محمد حسين/ المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، ومعالي المهندس عدنان

الحسيني/ محافظ القدس، بتخريج الفوج الثامن والعشرين « فوج الشهيد ياسر عرفات» من مشروع تمكين النساء في أصول فن الخياطة والتفصيل الصناعي، وقد أشاد دولة الدكتور سلام فياض بالدور الذي تؤديه جمعية قلنديا منذ تأسيسها عام 1958م، خاصة في مجال تعزيز صمود الشعب الفلسطيني، وتحسين ظروف المرأة الفلسطينية، وتعزيز دورها في المجتمع.

وتطرق سماحة المفتي العام إلى دور المرأة الفلسطينية في الصمود والتصدي لممارسات سلطات الاحتلال، متمنياً التقدم والتوفيق لها.

تحت رعاية سيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس «أبو مازن»

المفتي العام يشارك في حفل افتتاح مؤتمر القدس الدولي في رام الله

رام الله: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية– في حفل افتتاح مؤتمر القدس الدولي، الذي عقد في رام الله بعنوان « **هوية القدس الثقافية بين الأصالة والتهويد**»، والذي نظمته مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، وقد عقد المؤتمر تحت رعاية سيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس«أبو مازن»، واستمر لمدة يومين، وفي كلمة ألقاها أمين عام الرئاسة الطيب

عبد الرحيم، نيابة عن سيادته، قال "أن عملية السلام بدأت قبل خمس عشرة سنة، ولسنا مستعدين لاستمرارها إلى الأبد دون نتائج"، كما وصف الدكتور رفيق الحسيني – رئيس ديوان الرئاسة – هذا المؤتمر بالمهم، خاصة أن له العديد من الأهداف والدلالات؛ من ضمنها إبراز مكانة القدس، وهويتها الوطنية، بدوره أثنى سماحة المفتي العام على عقد مثل هذا المؤتمر الذي يؤكد للقاصي والداني أن القدس هي عاصمة فلسطين الأبدية، فيما أكد الدكتور محمود الهباش – وزير الأوقاف والشؤون الدينية – أن القدس كانت وستظل عربية إسلامية، وضاءة، تخفق في جنباتها قلوب المؤمنين الموحدين.

المفتي العام وشخصيات مقدسية يستقبلون الرئيس الداغستاني في المسجد الأقصى المبارك

القدس: استقبلت شخصيات مقدسية رئيس داغستان، خلال زيارة قام بها للمسجد الأقصى المبارك، وكان في استقبال الضيف والوفد المرافق له، سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – وسماحة الشيخ عبد العظيم سلهب/ رئيس مجلس الأوقاف، وفضيلة الشيخ عزام الخطيب/مدير أوقاف القدس،

والمهندس عدنان الحسيني/ محافظ القدس، وقد تم إطلاع الضيف على الأوضاع الصعبة والخطيرة التي يعاني منها المسجد الأقصى المبارك، والآثار المدمرة لجدار الفصل العنصري على الشعب الفلسطيني.

المفتي العام يلتقي رئيسة بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية– في مكتبه رئيسة بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في فلسطين «باربارا امشتاد» والسيد حسام الشخشير المسؤول الإعلامي في اللجنة، بحضور فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله – الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية / مفتي محافظة رام الله والبيرة – وتعرض سماحته للحديث عن الأوضاع الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني ومقدساته بسبب إجراءات الاحتلال، وركز سماحته على أوضاع الأسرى الفلسطينيين، مؤكداً على ضرورة احترام حقوقهم الإنسانية، والعمل على إطلاق سراحهم، وشدد على أن يقوم أي حل لقضيتهم على أساس العدل والشمول، كما تم بحث سبل التعاون بين دار الإفتاء الفلسطينية والصليب الأحمر الدولي لتحقيق أهداف إنسانية نبيلة، من جانبها

أكدت السيدة "باربارا" على اهتمامها بالتعاون بين الجانبين في المجالات المشتركة.

المفتي العام يشارك في افتتاح مبنى بلدية ترمسعيا

وغرف صفية لمدرسة بنات ترمسعيا الثانوية

رام الله: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك – في افتتاح مبنى بلدية ترمسعيا وغرف صفية لمدرسة بنات ترمسعيا الثانوية، بحضور عدد من الشخصيات الرسمية والشعبية، حيث أكد سماحته

على أهمية العلم، وأشاد بالمجلس البلدي لترمسعيا، والدور الكبير الذي يقوم به لخدمة المواطنين، ورافق سماحته في زيارته للبلدة فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله– الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية/ مفتي محافظة رام الله والبيرة، والسيد محمد جاد الله / مدير الشؤون الإدارية في دار الإفتاء الفلسطينية.

المفتي العام يشارك في حفل تأبين المربي نهاد أبو غربية

القدس:شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/

خطيب المسجد الأقصى المبارك – في حفل تأبين المربي نهاد أبو غربية، وفي كلمة في الحفل الذي أقيم في الكلية الإبراهيمية وصف سماحته المرحوم بأنه من الذين قدموا الكثير، وكان له دور كبير في الحفاظ على المنهاج العربي الوطني في القدس، رغم محاولات الاحتلال الإسرائيلي صبغه بالهوية الإسرائيلية، وشارك في حفل التأبين العديد من الشخصيات الوطنية والتربوية.

خلال مؤتمر صحفي نظمته لجنة الدفاع عن أراضي سلوان ولجنة حي البستان في خيمة الاعتصام في البستان

المفتي العام يدعو إلى الاستمرار في الفعاليات الجماهيرية في الخيمة

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية– في المؤتمر الصحفي الذي نظمته لجنة الدفاع عن أراضي سلوان ولجنة حي البستان في خيمة الاعتصام في حي البستان، وقد حيا سماحته صمود سكان الحي وثباتهم أمام كل

الضغوطات التي تمارسها سلطات الاحتلال وأذرعها، وأمام كل الإغراءات التي تضعها بين أيديهم، كما حيا رجال الإعلام الفلسطيني في القدس، الذين ينشرون أخبار هذه الفعاليات أولاً بأول، وينقلونها للعالم، كما دعا إلى الاستمرار في النشاطات الجماهيرية في الخيمة، وإلى تمتين العلاقات بين السكان، وأكد على أن هذه الخيمة أصبحت رمزاً لصمود الإنسان الفلسطيني المقدسي، مما يستدعي تنشيط الفعاليات الجماهيرية، وإبداء الحيطة والحذر من أي تصرفات عنصرية احتلالية، وشارك في المؤتمر عدد من الشخصيات الرسمية والشعبية.

المفتي العام يلتقي النائب جمال حويل

القدس: قام سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية– على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية بزيارة للنائب جمال حويل، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، لتهنئته بالتحرر من سجون الاحتلال.

وقال سماحته: "إن القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطيني مهتمون بقضية الأسرى، وأن فرسان الحرية لا بد أن يكونوا دائماً على رأس أولويات العمل الوطني لتحريرهم من ظلام سجون الاحتلال"، مؤكداً على أن الشهداء والأسرى قد ضحوا بدمائهم وحرياتهم من أجل كرامة الشعب الفلسطيني ومقدساته، فمن حقهم أن لا ينسى فضلهم وتضحياتهم.

وحث سماحته على التمسك بالوحدة الوطنية ورص الصفوف، مؤكداً أنها الصخرة التي تتحطم عليها أطماع الاحتلال ومؤامراته، وبدوره شكر النائب حويل المفتي العام والوفد المرافق على هذه الزيارة.

وضم الوفد كلاً من فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله – الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية/ مفتي محافظة رام الله والبيرة – والشيخ محمد سعيد صلاح / مفتي محافظة جنين، ومحمد جاد الله / مدير دائرة الشؤون الإدارية في دار الإفتاء الفلسطينية.

مفتي محافظة نابلس يلقي محاضرة في الجمعية الخيرية

نابلس: ألقى فضيلة الشيخ أحمد شوباش – مفتي محافظة نابلس – محاضرة في الجمعية الخيرية، حول "مكانة المرأة في الإسلام"، شرح فيها موقف الإسلام من قضايا المرأة والتطور الهائل الذي أعطاه الإسلام للمرأة ، ومقارنته بالأمم السابقة.

كما ألقى فضيلته خطبة الجمعة في مسجد "مصعب بن عمير"، تناول فيها الظواهر السلبية التي يجب هجرها والابتعاد عنها، كشتم الدين، وتضييع الأوقات في المنكرات والمحرمات، والسفور، يشار إلى أن فضيلته يشارك في العديد من اللقاءات الإعلامية لصوت فلسطين والمحطات المحلية.

مفتي محافظة أريحا والأغوار يستقبل قاضي أريحا والأغوار الشرعي

أريحا والأغوار: استقبل فضيلة الشيخ محمد أبو الرب –مفتي محافظة أريحا والأغوار– في مكتبه قاضي أريحا والأغوار الشرعي، حيث أطلعه على سير العمل في دار الإفتاء الفلسطينية، والعلاقة بين الإفتاء والقضاء الشرعي.

من ناحية أخرى ألقى فضيلته خطبة الجمعة في مسجد أريحا الكبير، تحدث فيها عن أهمية الوحدة بين أبناء الشعب الفلسطيني، لمواجهة المخاطر المحدقة بشعبنا الفلسطيني، كما بين حرمة دم المسلم على المسلم، حاثاً المسلمين على تجنب الفتن التي تؤدي إلى البغضاء والتشاحن والاقتتال، ودعا شعبنا إلى الوقوف صفاً واحداً خلف القيادة الفلسطينية، وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الحزبية.

مفتي محافظة بيت لحم يشارك في عدد من النشاطات

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة – مفتي محافظة بيت لحم – في ورشة عمل بعنوان «موقف الدين من الوطن والقومية»، بدعوة من « مركز وفاق، علم تسوية النزاعات والتصالح الاجتماعي»، والتي عقدت في فندق انتركونتيننتال في أريحا، شارك فيها العديد من أهل العلم، كما شارك في الندوة التي أقامتها جامعة بيت لحم لطلبة من ألمانيا وفلسطين، بعنوان «التيارات الوطنية والدينية في فلسطين ومستقبل القضية الفلسطينية»، وألقى كذلك محاضرة دينية أمام وفد أمريكي في دار الندوة الدولية.

مفتي محافظة جنين يشارك في عدد من الفعاليات

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد سعيد صلاح – مفتي محافظة جنين – في العديد من النشاطات والفعاليات الرسمية والشعبية في المحافظة، حيث حضر فضيلته المهرجان الختامي «القدس لنا»، الذي أقامته مديرية التربية والتعليم في المحافظة، كما شارك في حفل تكريم الطلبة المتفوقين في منطقة جنين التعليمية ومركزها الدراسي، الذي نظمته جامعة القدس المفتوحة، وشارك كذلك في حفل تتويج الفرق الفائزة بالبطولة الأولى في كرة الطائرة للمؤسسات، وفي حفل افتتاح قاعة وحديقة دير غزالة العامة، وفي اليوم الوطني المفتوح الأول للتدريب المهني في فلسطين، بالإضافة إلى إلقائه عدد من خطب الجمعة في مساجد المحافظة، ومشاركته في حل العديد من النزاعات الأسرية والاجتماعية والعشائرية.

مسابقة العدد 86

أسئلة المسابقة :

1) في أي شهر وعام وقعت معركة عين جالوت ؟

2) متى وقعت معركة القادسية ؟

3) من مؤلف كتاب (المستصفى) ؟

4) من مؤلف كتاب (إرشاد الفحول) ؟

5) ما الأمور الثلاثة التي أضحكت أبا الدرداء ؟

6) ما رأي الإمام النووي في المقصود من بركة السحور ؟

7) هل يجوز اعطاء الابن الغارم من زكاة مال والده ؟

8) ما أوسع عطاء يعطى للمؤمن في ضوء ما ورد في الحديث الشريف ؟

9) صحابي ابن صحابي، تولى قيادة الجيش صغيراً، وأعطاه عمر ضعف ما أعطى ولده عبد الله، فمن هو ؟

10) ما سبب تسمية ادريس عليه السلام بهذا الاسم، حسب المعجم الوسيط ؟

11) ما الذي أشغل سعيد بن الهيثم عن حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

12) ما المقصود ب(القزع) ؟

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: 250 شيكل

الجائزة الثانية: 200 شيكل

الجائزة الثالثة: 150 شيكل

ملحوظتان :

ـ يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية) والعنوان البريدي ورقم الهاتف والإجابات بخط واضح .

ـ ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء ، العدد 86

مجلة الإسراء / مديرية الإعلام والبحوث الإسلامية

دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 84

ج1: 21 / 8 / 1969م

ج2: 1958م

ج3: إذا قام به بعض المسلمين سقط عن البقية، وإذا لم يقوموا به أثموا جميعاً

ج4: 8 / 11 /1994م

ج5: حديث رسول الله ﷺ « .... فإذا اختلفت هذه الأصناف، فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يداً بيد»

ج6: 1976م

ج7: في يومه السابع

ج8: بعد ذبحها، والتأكد من زهوق روحها، وسكون حركتها.

ج9: عند انقضاء الكسوف وظهور الشمس.

س10: في رمضان

الفائزون في مسابقة العدد 83

رقم الجائزة	الإسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
الأولى	محمد جهاد مسعود	طولكرم	250
الثانية	فاطمة أسعد عبد الكريم جرادات	جنين	200
الثالثة	تغريد عبد الرحيم محمد عبد الرحمن	قلقيلية	150